وزارة التعليـــم العـــالي والبـــحث العلمــــي

جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم –

كــلية :الأدب والفنون

قســـم :الأدب العربي

UNIVERSITE Abdelhamid Ibn Badis MOSTAGANEM

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص دراسات أدبية مقارنة

الموسومة بـــ

صورة الصحراء الجزائرية إبان الاستعمار الفرنسي

"رواية رقان حبيبتي" للكاتب - فيكتور مالوسيلفا- ترجمة: سعيد بوطاجين أنموذجا.

إعداد الطالبة:

- خليـــــل نعيمـــــة.

إشراف الأستـــاذ:

د: رضوان لحسن.

السنة الجامعية: 2016___ 2017

إهداء

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك، ولا يطيب النهار إلا بطاعتك و لا تطيب اللحظات إلا بذكرك ، و لا يطيب الأخوة إلا بعفوك ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك .

إلى من بلغ الرسالة و أدى الأمانة و نصح الأمة إلى بني الرحمة و نور العالمين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة و السلام .

إلى والدي العزيز ، إلى من كلله الله بالهيبة و الوقار إلى من علمني العطاء بدون انتظار إلى من أحمل اسمه بكل افتخار ، و أرجو من الله لأن يمد في عمرك لترى ثمار قد جان قطفها بعد طول انتظار .

إلى" **أمي** " العزيزة إلى ملاكي في الحياة ، إلى معنى الحب ، و معنى الحنان والتفاني إلى بسمة الأمل و الحياة في الوجود إلى كل من دعائها سر نجاحي وحنان بلسم جراحي إلى سندي في الحياة في الوجود ، إلى كل من دعائها سر نجاحي و حنانها بسم جراحي إلى سندي في الحياة ، إخوتي : فاطمة ، سميرة ، فتحي ، مليكة، وليد ، و الصغير محمد أمين، زوجة أخي فضيلة الذين كانوا رفقاء دربي في الحياة بدونكم لا شيء و معكم هي كل شيء أشكركم على موافقتكم النبيلة في سبيل نجاحي

إلى من تخلوا بالإخاء و الوفاء و تميزوا بالوفاء و العطاء إلى ينابيع الصدق الصافي إلى من معهم سعدت و برفقتهم في دروب الحياة سعدت إلى كل من مية - عائشة - زهرة - لندة - صورية - ابتسام - كوثر .

إلى كل من الزملاء : يوسف - ياسين - محمد – حكيم و كل من عرف اسم خليل نعيمة .

نعيمة

شكر و تقدير:

الحمد لله الذي أعطانا من موجبات رحمته الإرادة و العزيمة على إتمام علمنا نحمدك يأرب ، حمدا يليق بمقامك وجلالك عظيم جرت العادة أن يكون وراء كل إعداد و بحث أشخاص منهم من يساهم بالنصح و البعض بالتوجيه و من باب الجميل لأن أتقدم بتشكراتي الخالصة

- إلى من لا يبخل علمي بنصائحه القيمة و إرشاداته الوجيهة.

- إلى الذي كان و مازال و أدعوا الله أن يبقى للدروب منير الأستاذ المشرف رضوان لحسن

كما أتقدم بالشكر و العرفان لكل من ساعدني في إعداد و إنجاز هذه المذكرة

إلى كل الذين ساهموا من قريب أو من بعيد في إنارة دربي و تصويب عقلي إلى كل هؤلاء وشكرا.

نعيمة

مقدمـــــــــة:

عرفت الجزائر مثل أقطار المغرب العربي منذ القديم أنواعا من الغزوات والاعتداءا، الهجومات قاومتها بكل قوة و عنف و تخلصت منها، إلى أن جاء الإسلام برسالة خالدة رسالة الحرية، و العدل،والمساواة ،و العلم فأدركوا بسرعة نبل هذه السرعة و تطابقها مع أهوائها فاستنقوها، و أصبحوا من المدافعين عنها ،و تأسست في الجزائر دول إسلامية كثيرة شاركت في تشييد الحضارة العربية الإسلامية **بإزالة** مآثر ومعالمها شاهدت على صخرية الإنسان الجزائري ،و بعد تنظيم الزمن ،و تغيير الظروف الدولية في آخر عصر التاريخ الحديث ،و بداية تاريخ المعاصر تعرضت الجزائر إلى هجمة شرسة من طرف الاستعمار الأوروبي الحديث تمخضت من ثمن جملة نادرة للقوات الفرنسية الغازية على مدينة الجزائر بحجة الانتقام من الداي الجزائر الذي أهان قنصل فرنسا بالجزائر ،عندما سأله عن الديون التي كانت على فرنسا منذ أن مدت لها الجزائر يد العون حينما تنكرت لها الظروف ،و اصطلحت عليها الأضداد فأطمعتها من جوع وآمنتها من خوف ،فنهضت كبوة و استطاعت أن تستعيد بعض قواها لتنقض على اليد التي امتدت إليها بالمعروف وتكرمت عليها بالغوث، فتصنع قيودا وأغلال ،وتغتصب منها سيادتها ،وأموالها وتفسرها الاستعمار إذلال ،ومهانة وتحقق أطماعها الدنيئة ،وأن أطروحة ضرب القنصل الفرنسي بالمروحة من طرف الداي حسين ،و أن قضية الانتقام من حاكم الجزائر لم يعد له أي تأسيس لأن الوقائع التاريخية تدل على أن فرنسا لم تنتقم من الداي بل خرج من الجزائر معززا بأمواله وعائلته لتصرع بعد ذلك القوات الفرنسية إلى نهب الأموال خزينة الدولة و مجوهرات القصور و الدور بالقصبة و غيرها .

لم يكن التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية وليد الصدفة، بل كان تخطيطا مبرمجا منذ مدى بعيد ،وذلك أن هذه العملية قد بدأت بإرسال الجحافل الأولى من المغامرين المستكشفين من رجال الدين المسيحيين على الصحراء أمثال " كابيه، وهانري بارث، رولف بواسو لييه، فلاترس، فلامون، إزابيل إيبهارد و غيرهم و قد تقمصوا

شخصيات متعددة ،و هم عبارة عن شبكة من العيون، والحواس المتمرسين في أشكال الرجال دين ،وأطباء،ومتسولين ،وظباط متنكرين في لباس أهل المنطقة،أوعلماء بيولوجيا أو نبات ، و ما إلى ذلك لكي يخفوا نواياهم المبيتة، و قد تعرض الكثير منهم إلى الهلاك بعد أن كشف سكان الناحية أمرهم ،و بعد أن قاموا برحلاتهم و جالو في أرجاء الصحراء ،وقدموا تقاريرهم ،و مذكراتهم ،و بحوثهم عما حثوا فيها فرنسا خاصة على احتلال هذه الأراضي الزاخرة بالثروات المعدنية فضلا عن كونها مناطق إستراتيجية بالغة الأهمية .

ما حدث في الصحراء يتعذر تجاوزها أو نسيانه بالتقادم من حيث أنه موجود ة وممتد إلى زمن غير معلوم لم تجر فرنسا تجارب على حدودها ،و في جغرافيها الخاصة بل في أراضي الأخرين الذين لا قيمة لهم، و هم يدفعون اليوم ثمن ارتقاء هذا البلد إلى مستوى القوى النووي الكبرى، بتستر الشامل على أثار ما زرعه من أوبئة في الرمل كان صديقا المكان و التوارق الذي كانوا يحوجون الصحراء أحرارا، قبل أن يفقدوا الطمأنينة لأجيال ،أن يلطخ الماء و التمر و الزرع ، قبل أن تنقرض كثير من الكائنات التي كانت تعيش في أرضها آمنة قبل أن تتجعها القنابل الذرية الكثيرة .

ومن بين الجرائم التي ارتكبتها فرنسا في الصحراء الجزائرية رقان التي كتب فيها الدكتور الفرنسي فيكتور مالوسيلفا قنبلة أدبية من العيار الثقيل ،لأنها إدانة صريحة بأبشع طرق الاستعمار المستعملة ضد الشعب الجزائري ،فكتب هذه الرواية و هو يمضي آخر أيامه غارقا في الأسف بكل ما فعله في تلك الصحراء البريئة في تلك الحرب التي يصفه الكاتب بالقذرة ،و التي شارك فيها الجزائر ،و يعترف بكل ماعالجه من الشعور وهو يرى تلك التفجيرات ،و ما آلت إليه الأمور بعدها في الصحراء من 1960 إلى 1966 أي حتى بعد الاستقلال الجزائر ،و تقوم هذه الرواية عن جرائم النووية الفرنسية في الجزائر.

و ترصد بقايا الأحداث ،و الحقائق عبر سرد روائي ممتع فأحيانا لا يتمكن الخيال من تجاوز حجم الواقع لكنه يكتشف حيثياته لذلك جاءت هذه الرواية التي تعمل شكل التحقيق

لتكشف فظاعة التفجيرات النووية الفرنسية في الصحراء الجزائرية ،و تتحدث عن مآس تتستر عليها فرنسا ،و لا تجد من يدافع عن ضحاياها في الجزائر .

بعد تفكيك الدكتور سعيد بوطاجين لخيوط الرواية التي ترجمها إلى العربية للروائي الفرنسي فيكتور مالوسيلفا إلى المحاضر أنه لا شك أن ما يقرأ رقان حبيبتي سيدرك هول الجريمة ،التي ارتكبتها فرنسا في صحرائنا سيتأثر بروعة هذا الموقف الإنساني النبيل للكاتب مالوسيلفا ،و يسترسل على تموجات السرد لا يشعر بعقبات هنا و نتوءات هناك بفضل الجهد المعني الذي بذله د سعيد بوطاجين و هو يتصيد التسميات المستعصبة

و ينقح العبارات ليختارها من صميم اللغة العربية و كأن النص لا علاقة له بالترجمة وإنما كتب بالعربية أصلا و ما كان له ليتفطن إلى هذا النص و يحرص على نقله إلى القارئ العربي لولا أن كانت تجدوه روح وطنية صافية وعليه تم صياغة الإشكالية التالية : كيف عالجت الرواية جرائم الاستعماري الفرنسي؟ هل عبرت الرواية و أعطت معنى لهذا الجرح في الذاكرة ؟ كيف تصدى لها الشعب الجزائري بالتنظيم الإداري والعسكري ؟

و يرجع سبب اختيار هذا البحث إلى أن الموضوع خصب و قليل التناول ـ لأهمية الصحراء كفضاء دلالي له خصوصية عن باقي مكونات العمل السردي ـ لأن الرواية لم تستهلك بعد ـ نظرا للالتصاق الموضوع بالرواية و الشغف لمعرفة ما يدورفي المكان الصحراوي.

و قد واجهنا بعض الصعوبات في إعدادنا لهذا البحث تمثلت أساسها في صعوبة الحصول على بعض المصادر لقلة عدد طبعاتها و الطلب المتزايد عليها،

رغم كل هذا بذلنا جهدا في الحصول على ما تيسر من هذه المراجع و حاولنا بقدر المستطاع الإحاطة بهذا الموضوع، و قد وضعنا لهذا العمل خطة مكونة من ثلاثة فصول بمقدمة و خاتمة . و كان الفصل الأول ،الصحراء ذاكرة و خيال مفهوم الصورة

والصورة عند القدامى و المحدثين ، و خصائص الصحراء و خصائص سكان الصحراء، خصائص النباتية و الحيوانية للصحراء ، الوضع السكاني للصحراء مع الكشوفات الجغرافية للصحراء ،

الفصل الثاني: تحت عنوان الاستعمار في الصحراء،التنظيم الإداري والعسكري الفرنسي للصحراء ، الأهمية الاقتصادية و الإستراتيجية للصحراء ، الدرك الفرنسي للصحراء ، المحتشدات و التعذيب في الصحراء الجزائرية .

الفصل الثالث:نموذج تطبيقي فيما يخص دراسة الرواية،مفهومها ، و مضمونها ، تعريف بصاحب و مترجم الرواية ، تحليل مضمون الرواية ، النتائج الوخيمة في الرواية والخاتمة .

ومن أهم المصادر و المراجع في البحث منصوري عمار السياسة الفرنسية لفصل الصحراء ، و قد واجهتني بعض الصعوبات أثناء انجاز هذه الدراسة ، إلا أننا تمكنا من تجاوزها ، وذلك بالإصرار و العزم على بلوغ الغاية المنشودة و في قطف ثمار هذا العمل المتواضع .

1.مفـــــهـــــــوم الصــــــورة :

الصورة من المفاهيم النقدية التي ليس لها جذور في النقد العربي والتي يصعب تعريفها ، إذ كلّما حاولنا تعريفها وقعنا في اختلاف، فهي تختلف من ناقد إلى آخر وتتعدد مفاهيمها بتعدد اتجاهاته و منطلقات الفكرية و الفلسفية .[1]

فقد جاء في لسان العرب مادة ًصـ - و- ر ً، في أسماء الله تعالى: المصوّر والذي صور جميع الموجودات و رتبها فأعطى كل شيء منها صورة خاصة وهيئة مفردة يتميز بها كل باختلافها و كثرتها، الصورة في الشكل و الجمع صُوَرُ. وتصورت الشيء توهمت صورته فتصور لي و التصاوير : التماثيل ، قال ابن الأثير :الصورة ترد في كلام العرب على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشيء و هيئته ، و الصورة كذا و كذا أي صفته .

جاء في المصباح المنير مادة " صور " الصورة التمثال و جمعها "صُور " مثل غرفةٍ وغُرَفٍ، وتَصَوّرْتُ" الشيء مثلت" صوُرَتَه " و شَكْلَه في الذهن " فتصور هو و قد تطلق الصورة ويراد بها الصفة كقولهم صورة الأمر كذا أي صفته ومنه قولهم "صورة " المسألة كذا أي صفتها ". [2]

وعليه تكتسب كلمة الصورة في العربية معاني قريبة من الشكل حسب السياق الذي ترد فيه إذ يمكن أن ترادف: صفة أو هيئة أو خيال أو وهم أو حقيقة.

---

[1] ابن منظور ، لسان العرب ،مج 4 ، دار الصادر،بيروت،د ط ،د ت، مادة صور ، ص 473 .

[2] أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المصباح المنير ، دار المعارف، القاهرة، ط2، دت، ص 350.

2- الصـــــورة عند القـــدامى :

لقد انحصرت الصورة في القديم في المحسنات البديعية فلم يكن للصورة قديما سوى مفهوم لا يتعدى حدود التشبيه والمجاز لأن الصورة تستعمل للتعبير عن المعنى الحسي.

ليست الصورة شيء جديداً، فإن الشعر قائم على الصورة منذ أن وجد حتى اليوم، ولكن استخدام الصورة يختلف بين شاعر و آخر ، كما أن الشعر الحديث يختلف عن الشعر القديم في استخدامه للصورة .

بما أن الشعر قائم على التصوير منذ القدم، فيلزم أن يكون النقاد القدماء قد عرفوا الصورة على نحو من الأنحاء، لأن دراسة الصورة الفنية قد رسخت في جذورها في الموروث من البحث البلاغي والنقد العربي .[1]

أما مفهوم الصورة عند الإمام البلاغيين " عبد القاهر الجرجاني " فقد حدده بقوله : «واعلم أن قولنا " الصورة " إنما هو تمثيل قياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا ،فلما رأينا البينونة بين آحاد الأجناس تكون من جهة الصورة فكان بين إنسان من إنسان وفرس من فرس ، بخصوصية تكون في صورة ذاك ...، وليست الصورة شيئا نحن ابتدأنها فينكره منكر ، بل هو مستعمل في كلام العلماء ويكفيك قول " الجاحظ" : و إنما الشعر صناعة وضرب من التصوير ».[2]

[1] – بشرى موسى صالح، الصورة الشعرية في النقد الحديث، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 1،1994،ص 19.

[2]-عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز ، تح : محمود شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ،ط 3 ، 1992، ص 508 .

فعبد القاهر الجرجاني يرمي إلى بيان أن الصورة هي الشكل الذي تتشكل فيه المعاني سواء كانت حقيقة أو مجازية فتصوير المعاني عنده يعني أن يصوغها الأديب ويضمها ويشكلها على هيئات معينة هي أساس التفاضل و التمايز .[1]

وهذا ما يختصر "الجرجاني في عبارته التي تتحدث فيها عن القدماء و فهمهم للصورة : إنهم لا يعنون بحسن العبارة مجرد اللفظ و لكن صورة وصفة وخصوصية تحدث في المعنى .

لقد عالج النقد العربي القديم مفهوم الصورة تحت مسألة اللفظ والمعنى، وقد تعددت الأقاويل البلاغية و النقدية العربية القديمة في محاولة للتوصل لمفهوم تام و شامل.[2]

[1] -إبراهيم أمين الزرزموني .الصورة الفنية في علي الجارم .دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع مصر .د.ط.س 2000 .ص 9.

[2]- الولي محمد ،الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي و النقدي . المركز الثقافي العربي بيروت ،ط1 . 1990. ص 293.

3- الصــــــورة عنـــــد المـــحدثيــــن:

لقد توسع مفهوم الصورة عند المحدثين إلى حد أصبح يشمل على الأدوات التعبيرية مما تعودنا على دراسة في فعل " البيان " و " البديع " و"المعاني" و"العروض" و "القافية "، و"السرد " ، وغيرها من وسائل التعبير الفني فهي عند "عبد القادر القط ": «الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص ، ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة ، مستخدما طاقات اللغة و إمكاناتها في الدلالة والتركيب والإيقاع والحقيقة والمجاز والترادف و القضاء والمقابلة والتجانس وغيرها من وسائل التعبير الفني ».[1]

مفهوم الصورة عند بعض النقاد المحدثين ، وجدناها عند " أحمد حسن الزيات ": «هي إبراز المعنى العقلي أو الحسي في صورة محسة و الصورة خلق المعنى العقلي ، أو الحسي في صورة محسة ، أو صورة خلق المعاني و الأفكار المجردة ، أو الواقع الخارجي من خلال النفس خلقا جديدا».

بينما يرى الأستاذ " أحمد الشايب " أن الصورة هي :«المادة التي تتركب من اللغة بدلالاتها اللغوية والموسيقية ومن الخيال الذي يجمع بين عناصر التشبيه والاستعارة والكناية والطباق وحسن التعليل » .[2]

يرى الأستاذ "العقاد" :«أن الصورة الأدبية عند الشاعر تتجلى في قدرته البالغة على نقل الأشكال الموجودة ، كما تقع في الحس و الشعور والخيال ، أو هي قدرته على التصوير المطبوع ، لأن هذا في الحقيقة هو فن التصوير كما يتاح لأنبع نوابغ المصورين » .[3]

---

[1]-عبد القادر القط، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، دار النهضة العربية ، بيروت، د ط 1978،ص435

[2]- إبراهيم أمين الزرزموني ، الصورة الفنية في الشعر علي الجارم ، المرجع السابق، ص 98.

[3] أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي، النهضة المصرية، القاهرة، ط 10، 1994، ص 249،

اهتمت بعض الروايات الجزائرية على قلتها بالصحراء،وهي ظاهرة جديرة بالاهتمام فالصحراء رملاً قاحلة و فضاء فسيح مقفرا خالي من الحياة ،بل هي موطن من مواطن السحر و الجمال . لهذا نجد الصّحراء قد فرضت نفسها و بقوة كبيرة على النص الروائي.

أولا : مفـــــــهـــــــوم الصـــــحراء :

أ- لغة:

« لقد عرّف ابن منظور في لسان العرب الصّحراء بأنّها : المستوية في لين و غلَظ دون القُفّ ، وقيل : أنها الفضاء الواسع ، و قال ابن شميل : الصَّحراءُ من الأرض ، مثل ظَهر الدَّابَةِ الأجْرَدِ ليس بها شَجَرٌ و لا إكرمٌ ولا جبألِ ملساءُ . و أصْحَرَ المكان أي اتَّسَعَ و أصْحَرَ الرَّجُلُ إذا اعْوَرَ كأنَّه افصىَ إلى الصَّحراءِ التي لا خَمَرَ بها فانكشف . وأصْحَرَ القومُ إذا بَرزوا إلى فَضَاءٍ لا يواريهم شيءٌ . و جمع الصحراء فيما قاله الجوهري ، صَّحارى و صَّحروات »[1].

أما الزّبيدي في تاج العروس فقد عرفها بأنَّها : اسم سبْع مَحَالَ بالكوفَةِ و مَحَلَ خارج القاهرة و قال الجَوهَرِي : الصَّحراءُ البَرِّيةُ ، غير مصروفة و إن لم يكن صِفةٌ ، وإنما لم يُصرَف للتأنيثِ ، و للزوم حَرْفِ التأنيث له ، قال : و كذلك القول في بشْرى ، تقُولُ: صَحْراءُ واسِعَة ، فتدخل تأنيثا على تأنيث [2]

[1] إبن منظور : لسان العرب ، مج 1، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، (د، ط) ، ص 2403.

[2] مرتضى الزبيدي : تاج العروس (دراسة و تحقيق على البشرى) ،مج 7 ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1994،ص 77.

وورد في معجم الوسيط (صَحِرَ) – صَحْرًا ، صُحْرَةٌ : أشرِبَة لونه حمرة خفيفة فهو أصحرُ ، وهي الصّحراءُ : أرض فضاء واسعة فقيرة الماء .

وبناء على ما سبق يتحدد معنى الصحراء لغة فما هو اصطلاحاً يا ترى؟.

ب- اصطلاحاً:

هي منطقة جغرافية تخلو أو يندر بها النبات، فالصّحراء تعريف نباتي لا مناخي ويقل فيها تساقط الأمطار، ولذلك تقلُّ فيها الحياة [1]

والأهم في مفهوم الصّحراء هو الحالة المناخية التي تطبع التضاريس الأرضية بطابعها الخاص . و المناخ «لا يتألف فقط من الأمطار و درجات الحرارة ، بل يضاف إلى ذالك الرياح و الإشعاعات و عناصر أخرى »[2]

فمفهوم الصحراء يقترن دائما بوضع مناخي معين يتميز بقلة أو ندرة الرطوبة والمياه مع ارتفاع للحرارة و فروقها اليومية و الفصلية و تطرف في المقادير التبخر والنتج . فالتطرق في العناصر المناخية و المائية ، و ما يرافق ذلك من انعدام شبه تام أيضا للحياة.

و من هذه الخلفيات المرجعية المختلفة نستخلص أن الصحراء تتميز بقلة الأمطار والحرارة المرتفعة ، فالحياة فيها صعبة للغاية لأنها في مختلف عهودها أرض الجفاف والحرمان.[3]

---

[1] ـنقلان عن الطيب لسلوس :مداخلات المنجز السردي للسعيد بوطاجين ، الملتقى الوطني الثالث للكتابة السردية تحت شعار "السرد و الصحراء ُ" دار الثقافة لولاية أدرار ، 2014، ص 111،

[2] ـإبراهيم مصطفى و آخرون ، معجم الوسيط ، المكتبة الإسلامية ،إسطنبول ،تركيا ، ج1 ، (دط) ، (د ت) 508

[3] صلاح صلاح ، الرواية العربية و الصحراء ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ،سورية ،ط1، 1996، ص 16.

ثانيا :خـــصائـــص الصـحـــــراء :

إن ضجيج المدن و حياتها الصاخبة تدفع الإنسان للهرب منها بحثا عن حياة أكثر هدوءاً و سكونا فالصّحراء هدوِؤها و تلك الرمال المنبسطة سكونها و لهذه الجبال الشامخة عظمتها و لصخورها و تعدد أنواعها العجيبة الزاهية من الحمراء قانية إلى صفراء أرجوانية و سمراء داكنة و سماء زرقاء صافية ، ومن لمعة نجومها و ضيائها و لياليها الساحرة ، ثم من جفاف هوائها و طلاقته و اتساع أراضيها و فراغها و سكينتها و هدوئها كل هذه العوامل تجعل الإنسان يشعر بارتياح ليشعر بهما في الحياة المدن .[1]

وهذه الأريحية جرّت معها أسبابها و خصائصها .

أ)- خصائص الصحراء :

أ-1 ـ مفهوم البدو لغة و اصطلاح :

بدا بَدْواً و بَداَءٌ و بَدَاءةٌ و بَدْوًا ظهر و بدينه و بداوة الشيء : أوّل يبدو منه بَدَاة[2]: بدَا و بدواة : 1ـكمأة، 2ـرأي الشخصي ، 3ـالبادية ،الصحراء ،4ـتراب .[3]

ابتدي : ذهب إلى البادية ، تبادي ، تشبه بأهل البادية ، و تبدي ، ظهر و أقام بالبادية ، و البادي المقيم في البادية ، و البادية هي الفضاء الواسع فيه المرعى و الماء ، و البداوة : الحياة في البادية ، يغلب عليها التنقل و الرحال ، و البدو :و البادية وأهل البادية .[4]

[1] ـ عطايات أبو العينين : صلاح متعاطي : البدو أمراء الصحراء ،مؤسسة الوراق ،عمان ، الأردن ،ط 1، 2014 ص07.

[2]ـ الإمام مجد الدين : القاموس المحيط ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان، ج4 ،ص07.

[3] جيران مسعود ، رائد معجم الألف بائي في اللغة و الإعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط 1، 2003، ص393،

[4] ابراهيم مصطفى والاخرون، معجم الوسيط، المرجع السابق، ص 44- 45.

الرحال، و عدم الاستقرار في مكان بعينه، و يعيشون حياتهم التقليدية في الصحراء بحثا عن الماء و المرعى لجمالهم و أغنامهم، و يعيشون في خيام مصنوعة من جلود و شعر حيواناتهم .و يعتمدون في غذائهم في الغالب على المنتجات الألبان و التمر، و الأرز يقايضون اللحوم و منتجات الألبان مع سكان القرى المجاورة للحصول على الخناجر الأواني و البضائع المصنعة الأخرى ، و البدو شديد و الاعتزاز بكرامتهم و يعتمدون على أنفسهم إلى درجة بالغة . [1]

أ- 2- عادات البدو و تقاليدهم :

للبدو عادات و تقاليد كثيرة أكثر من أن تحصى انتقل بعضها بالتسلسل من الآباء إلى الأحفاد و حوفظ عليها كما لو كانت سرعة لا يصح الإخلال بها ، وبعضها نشأ بحكم الضرورة ، القاهرة ، من شظف العيش و ضيقه و قسوة البادية ، و مرارة ، العيش فيها

وتمارس تلك الأعراف و التقاليد ضغطا اجتماعيا على جميع الأفراد فلا يستطيع أحد التحرر منها ، و إلا فإنه يفرض نفسه الاستخفاف و للعقاب أحياناً ، وهذا النمط المحافظ الثابت أدى إلى استمرار عادات و قيم و بقائها على ما هي عليه منذ ما قبل الإسلام حتى اليوم ، ومن أهم العادات و التقاليد نذكر ما يلي : [2]

- كرم الضيافة:

كرم الضيافة من العادات و التقاليد البدو و الفاضلة ، فالضيافة عندهم أمر عظيم لا يفوتها أي أمر آخر و إكرام الضيف هي الصفة الملازمة لأهل البادية ، و هي إحدى أركان عاداتهم و تقاليدهم فلضيف مكانة عظيمة في نفس البدو ، و لا شك أن كرم الضيافة طبع أصيل تميز به العرب عن غيرهم من باقي الأمم .

[1] - عطيات أبو العينين ، صلاح معاطي ، البدو أمراء الصحراء ، المرجع السابق ص 15

[2] - المرجع نفسه ،ص ـ ص 16 -17.

وبناء على ما تقدم فإن الكرم صفة من صفات البدوي الطيبة، وهي من أبرز صفات المجتمع العربي فإكرام الضيف من مكارم الأخلاق و سجية من سجايا الكريمة التي مازال يتمسك بها فهي كثير الرماد كناية عن الكرم في أي عصر كان . [1]

2-2 الشجاعة :

يحترم البدو الرجل الشجاع ليس الشجاعة فقط ، وإنما لأن الشجاعة تمكنه من الكسب يقول حلوب باشا الذي عايش البدو و عرف طباعهم الشخصية و المتهورة للفارس الشجاع تصاحبها عادة سمة البذل اللامحدود و يقول "ألا ويس ومزيل " يحن البدوي للغزو ليل ونهار لا لأجل الغنيمة ، وإنما إما في علمية الكسب ذاتها من الإثارة ،و كلما كان الخطر أعظم كلما كانت المغامرة أكثر جاذبية و حالما تقع الغنيمة في يديه و يضمن الحصول عليها يهبها ليبدأ التخطيط لمغامرة أخرى

ومن هنا فإن الكرم من الأخلاق القديمة التي عرفها أصحاب النفوس العظيمة وهي صفة يعتز بها البدوي عن أبائه و أجداده ، أما الشجاعة فهي ضرورية لتحقيق قيمة الكرم وبالتالي فالشجاعة المردفة بالكرم من أبرز صفات العربي .

3-2 الزواج المبكر :

يفضل البدو الزواج المبكر و عادة ما يتم الزواج من الأقارب و أقرب قريبات الرجل التي يحل له الزواج منها :وهي ابنة عمه أو إحدى فتيات القبيلة وإذ رغب في غير ذلك فيتخير فتاته من أنساب كبيرة .

---

[1] عطيات أبو العينين ، صلاح معاطي ، البدو أمراء الصحراء ، المرجع السابق ص18

[2] - سعد العبد الصويان –الصحراء العربية ثقافتها وشعرها عبر العصور الأنثروبولوجية:الشبكة العربية ، بيروت ، لبنان ، د-ط ، ت 2010 ص 621

يعد الزواج من أرقى العلاقات الاجتماعية في مجتمعاتنا فبواسطته يتم خلق مجتمع متماسك لا تزحزحه الشوائب مهما كانت و المجتمع الصّحراوي عامة يحرص على الحرص على استمرارية وبقاء هذه العلاقة الاجتماعية و الحفاظ عليها.[2]

2- الخصـــــائـص النباتية للصـــــــحراء :

تعد نخلة التمر أعظم شجرة منتجة للغذاء في المناطق الصحراوية حيث تسمى ثمارها (فاكهة الصحراء)، و هي تنتشر في الواحات العربية ،و تمثل العامل الأساسي في التأقلم مع الظروف المناسبة لتوطين السكان واستدامت حياتهم .

و للنخلة أثر كبير في حياة العرب ،فهي مصدر رئيس من مصادر غذائهم و عيشهم فتمرها غذائهم ، و رضيعها غذاء لحيواناتهم ،فهي ذات أثر كبير في معاشهم و حياتهم الاقتصادية وبعد أن مروا بمرحلة الصيد و الرعي ، جاءت مرحلة الزراعة و الاستقرار مما دفعهم إلى العناية بزراعة (النخيل) و زراعة غيره من الشجر و النبات و الاستفادة من نتاجه

و على هذه الأرضية نرى أن النباتات الصحراوية في معظمها نباتات شوكية صغيرة الأوراق ، و ذالك بسبب الحرارة و الجفاف الأرض ، غير أن نخلة التمر عرفها العرب منذ القديم و ورد ذكرها في أشعارهم و كتبهم فهي شجرة مباركة (سيدة الشجر) ارتبطت بالسيدة العذراء في القرآن الكريم .[1]

---

[1] أحمد موسى التواتي ، الصحراء في الشعر الجاهلي ، عالم الكتب الحديث ، إربد ،الأردن ،ط 1، 2009 ، ص ـ ص 208-207

3- الخصائص الحيوانية للصحراء :

تشمل الحيوانات الصحراوية على عدد كبير من الحشرات و العناكب و الزواحف والطيور و الثديان ، و لكن أهم الحيوانات التي عرفت به الصحراء حتى إنه لقب بها (سفينة الصحراء) ألا وهو الجمل : الذي يستطيع مقاومة العطش لعدة شهور و الحق أن القدرة الإبل على تحمل شدائد الصحراء لا ترجع إلى طاقتها على اختزان الماء فحسب بل إلى قدرتها على الاحتفاظ به أيضا ، ويستطيع الجمل أن يتحمل ارتفاعا في درجة الحرارة فوق المعدل العادي لدرجة حرارة الجسم ، دون أن يفقد الكثير من الماء بالعرق ، كما أنّ الإبل تختزن الطاقة شحما في أسنامها .[1]

و اعتراف من البدو بأهمية الإبل في حياتهم يسمونها "النعم " وهي كلمة مشتقة من النعمة التي أنعم بها الله على البشر ،و يسميها العرب المتأخرون عطايا الله ، و تدور جل أحاديثهم و مسامراتهم حول الإبل و شؤونها و علاقتهم بها .

وقد ورد لفظ الإبل في القرآن الكريم في عدة مواضع و بألفاظ مختلفة وهي :

أ)- لفظ الإبل : في قوله تعالى «وَمِنَ اَلإِبِلِ اثنين وَ مِنَ البَقَرِ إِثْنَيْنِ قُلْ الذَكَرِيْنِ حَرَّمَ أَمِ الاثنين أَمَا اشتملت عَلَيه أَرْحَامُ الاِثْنَيْنِ أَمْ كُنْتُم شُهَدَاءَ إِذْ وَصكُمْ الله بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرىَ عَلَى اللهِ كَذِباً لِيُضِلَ النَاس بِغَيْرِ عِلْم إِنَّ الله لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظّلمينْ ».[2]

و قوله تعالى :«فَلاَ يَنْظُرُونَ إِلى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ .»[3]

ب)- لفظ الناقة : هي أنثى الجمل : كما وردت في قوله تعالى «يَاقَوْمَ هَذِه نَاقَةُ الله لَكُمْ آَيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُل في أَرْضِ الله وَلاَ تَمَسّوهَا بِسُوءِ فَيَأْخُذُكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ . »[4]

---

[1] سعد عبد الله الصويان ،الصحراء العربية ثقافتها و شعرها عبر العصور ، المرجع السابق ،ص 335.

[2] - سورة الأنعام الأية 144.

[3] -سورة الغاشية الأية 17،

[4] سورة هود الأية 64.

4- الوضع السكاني في الصحراء الجزائرية:

عرفت الصحراء بتنوع ساكنيها فهي تضم خليطا من القبائل البدوية أو التي تسكن واحاتها بالمدن الكبرى مثل قبائل الشعانية و التوارق و الترقيبات و العرب ، وكان اعتماد الاستعمار على هذا الخليط في سياسته التي كانت تحاك بغرض استعمال هذه القبائل بهدف فصل الصحراء عن باقي الصحراء .

فالشعانية و مهدهم متليلي غاب مدينة غرداية[1] ينتشرون بكل من غرداية و ورقلة والمنيعة كما توجد أعداد منهم بكل من واد سوف و الساورة بناحية بشار و إقليم توات وحتى بعين صالح و مالي و كان نزوحهم من الأبيض سيد الشيخ إلى غرب الصحراء الجزائرية بعد التوسع ثورة الشيخ بوعمامة إلى الجنوب الغربي.

قبائل توارق ،قبائل صحراوية قديمة العهد بالمنطقة ،[2] متوغلة في أقاضي الجنوب الجزائري بكل من تمنراست و إليزي و جانت ولهم انتشار حتى في الصحراء و بمعرفتها لمختلف الطرق الصحراوية ،فالأمر الذي سيدفع الجيش الفرنسي إلى محاولة محاصرتها والقضاء على تجارتها في بعض الصحراء بغرض كسبها كعنصر مساند له في أعماله وسياسته في المنطقة .[3]

[1]- درواز الهادي الولاية السادسة التاريخية و وقائع ،1954-1962- دار الهومة ،الجزائر2002 ،دط - ص 148.
[2]- بوشارب عبد السلام ، الهقار ،أمجاد و أنجاد نشر المتحف الوطني للمجاهد ،1995 .دط - ص 13.

[3]-مياسي ابراهيم ، الصحراء الجزائرية من خلال الإستكشافات قبل وبعد الإحتلال، المصادر . ع12، 1954. 2005، ص 120.

لقد نجم عن احتلال الصحراء و السيطرة عليها من طرف الاستعمار الفرنسي عدّة نتائج ومن جميع النواحي الاقتصادية و الاجتماعية و التي كان لها أثر بالغ على سكان الصحراء ففي الجانب الاقتصادي نلمح انهيار للحالة المادية للمجتمع الصحراوي فالاستعمار و بتوسعه جنوبا ساهم في ضعف و انهيار التجارة الصحراوية ، و سمح للتجار الأوروبيين السيطرة عليها يعد فتح موانئ تجارية بالجنوب الغربي لإفريقيا و التي شهدت رواجا للسلع الأوربية ، أما عن الجانب الحيواني و المعيشي للسكان فقد شهد هو الآخر تراجعا كبيراً حيث أن كل من قطيعي الغنم و الإبل قضى عليه بسبب أعمال تموين الجيوش الفرنسية في الصحراء خاصة في الأقاليم تيديكلت و توات (1989-1902) و من أجل الضغط على سكان الصحراء[1] عمدت الإدارة العسكرية الفرنسية إلى محاضرة النشاط الاقتصادي لهم ، بفرضها ضرائب و رسوم مختلفة (ضريبة العشر ، ضريبة الأزمة وضريبة الزكاة ، ومن مظاهر الضغط استعمال قوانين تشريعية لضرب اقتصاد هؤلاء السكان فحتى موارد المياه و الأراضي في الصحراء شهدت سن تشريعات خاصة بها .

إضافة إلى هذه الجهود المبذولة لإضعاف اقتصاد السكان ، هناك العوامل الطبيعية كالقحط و الجفاف التي ساهمت هي الأخرى في نمو مظاهر البؤس و القهر فضلاً على أنه ميزانية هذه الأقاليم ظلت تستفيد في إقامة حصون و أباح عسكرية و حفر الآبار و تشييد مسالك و خدمة مصالح الجيش و الأوربيين .[2]

وفي ما يخص الجانب الاجتماعي لأهالي الصحراء فقد شهد هو الآخر دهورا كبيراً بسب تدهور الحالة المادية لهم ، فإنسان الواحات مثلا يعد من أفقر الناس نظرا للأوضاع التي يعيشها و في مجال الاهتمام الصحي فقد عرف هو الآخر تراجعا و تدهورا كبيرا ، فزيادة عن الأمراض و الأوبئة ، كان عدد المِؤطرين في الصحراء في الإقليمين ضئيلا ،إذ

[1] دروار الهادي ،المرجع السابق ص ، 159.

[2] بن دارة محمد ، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية مابين 1952 - 1962 ، رسالة ماجستير في تاريخ الثورة ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر ، 1998- 1999 ، ص 13.

أنه في سنة 1918 مثلا كان هناك 20 طبيا ، ليشهد تواجدهم ارتفاعا في 1946 إلى 31 طبيا ، فمعظم ملحقين بالقطاع العسكري .[1]

5- الكشـــــوفـــات الجـــغـــرافيـــــة و الاحتلال الفـــرنسي للصــــحــــراء :

لقد أولت الإدارة الفرنسية اهتماما كبيراً للصحراء الجزائرية ، و ذلك لما تمثله من أهمية في إطار توسعها الاستعماري عبر أراضي إفريقيا ، و قد حاول الأوربيين خاصة الفرنسيون منهم خلال القرن الثامن عشر و التاسع عشر ميلادي .

كشف أسرارها و فهم و معرفة جميع تركيباتها الجغرافية و البشرية ، و رسم الطرق لتسهيل عملية التوسع المعتمدة أساسا على التواجد العسكري الفرنسي فتزايدت رحلاتهم في إطار الرحلات الاستكشافية لأراضي إفريقيا الصحراوية .[2]

ويمكن أن نستكشف عدد من الملاحظات عند دراستنا لمراحل تطور هذه العمليات الاستكشافية بعد احتلال الجزائر 1830.

ـ أن هذه الكشافات الجغرافية ترامنت مع عمليات التوسع العسكري الذي انتهجته فرنسا بعد استتباب الأمور لها في المناطق الشمالية فعملت على التوسع عبر الأراضي الصحراوية التي ستدخل ضمن مستعمراتها وفق اتفاقية 5أوت 1890 التي عقدتها مع بريطانيا .

ـ الدور الفرنسي الكبير في تنشيط عمليات الاستكشافية في الصحراء و ذلك خدمة لمصالح فرنسا الاستعمارية .

ـ ازدياد الحملات الاستكشافية كان يدعم من طرف المؤسسات العلمية ففي فرنسا زودت الجمعية الجغرافية بباريس مختلف البعثات العلمية للصحراء بالنفقات المالية اللازمة وبذلك[3]

---

[1] ابن علي بوبكر ، الثورة التحريرية في منطقة الساورة ، 1954-1962، مذكرة ماجيستر في تاريخ الثورة ، كلية الأدب و العلوم الإنسانية ، مركز الجامعي ببشار ، 2005- 2006 ، ص 199.

[2] ـ ابن علي بوبكر ، المرجع نفسه ، ص 200.

[3] ميروش أحمد ، التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري،المرجع السابق ص117.

دعمت عملية التوسع الفرنسي و إن كان ذلك في صورة غير مباشرة و من الرحلات التي تزامنت مع مرحلة التوسع العسكري في الصحراء نذكر حملة الرائدان "بيران و كولونيو" [1] التي وصلت إلى تبراغامين ، ورحلة الألماني "جيرهادر رولفس " سنة 1864 عبر خلالها مناطق عين صالح ، توات ، تصابيت ، وسالي و حملة العقيد فلاتيرس 1880 م التي عبر فيها بواد ميزاب ،غرداية ، ورقلة ، الأغواط ثم منطقة أماقيد في 12 جانفي 1881 ومنها إلى تماسينت إلا أن بعثه تعرضت لهجوم من طرف التوارق كلفه حياته يوم 18 فبراير 1881 م وبالرغم من المقاومة التي واجهها الجيش الفرنسي منذ أن وطأت أقدامه أرض الجزائر ، إلا أن ذلك لم يثنه من توجيه أنظاره نحو الأراضي الشاسعة في الجنوب الجزائري بعد إستتباب الوضع الأمني نسبيا في الشمال،وتحول الحدود الصحراوية الشمالية إلى مراكز للثوار الذين نزحوا من الشمال نحو الجنوب لتجديد المقاومة ، وضرب الاستعمار الفرنسي [2]

[1]- ابن نعيمة عبد المجيد وآخرون موسوعة أعلام الجزائر 1830-1854 ، 1954 – 2007، ص ، ص 86 – 89.

[2]- مريوش أحمد ،المرجع السابق ص122.

[3]- ابن نعيمة عبد المجيد ، المرجع نفسه ص، ص،32-35.

بدأت أولى الطلائع العسكرية الفرنسية تزحف نحو أراضي الجنوب ولم تجد هذه الطلائع ترحيبا من طرف سكان الجزائر حيث عمل هؤلاء على مجابهة الإستعمار، فعلى أبواب الصحراء من بسكرة إشتهرت مقاومة بزعامة الشيخ بوزيان 16 جويلية 1849.

ثم انتفاضة ورقلة بقيادة محمد عبد الله شريف سنة 1851. ومقاومة إبن ناصر شهرة بالأغواط (1851-1875) والأخرى بأولاد سيدي الشيخ بقيادة سي سليمان سنة 1864م.[1]

إن هذا التوسع العسكري في الصحراء والذي تبعه إحماد الثروات في مناطق هذا الإقليم دفع بالجيش الفرنسي الى بناء قواعد وأبراج عبر مراحل تقدمه في بقاء الصحراء ، فمثلما نم اتخاذ مراكز متقدمة له تعتبر محطات لمرور الدعم والقوات ، ففمنطقة الساورة إتخذ العقيد " بيرطروند" من بني بونيف سنة 1900 منطقة عسكرية وبعد أحتلال بشار إتخذت مقرا لقيادة إقليم الجنوب الغربي الذي كان مقره عين الصفراء ويظهر أن الغرض من وراء ذلك هو تقريب القيادة العسكرية من أراضي الجنوب ، لكن ّلك لم يضعف من المقاومة التي إستمرت حيث تمكن المقاومون في إحدى هجماتهم من قتل الجنرال " كلافري" يوم 08 ديسمبر 1928 بجبل أغلال الذي يبعد 60 كلم جنوب شرق بشار .[2]

ونفس الشئ في منطقتي تيديكلت وتوات التي إستطاع الجيش الفرنس القضاء على مقاومة سكانها ، لينصب بعدها قيادة عسكرية في مدينة عين صالح سنة 1902.

وجهت الحملات العسكرية أنظارها باتجاه أراضي الهقار في أقصى الجنوب و استطاع

الضابط الفرنسي "كوتينس" رغم المقاومة التارقية الإستيلاء على تازروك والوصول إلى واد تيت ، إلا أن أرض الهقار لم تهدأ وشهدت معارك عدة منها معركت المان 5 ابريل 1917، ومعركة أينكر 01 جوان 1917 .

ومن خلال هذه المقاومات والتوسعات الفرنسية في الأراضي الصحراء يمكن القول أن :

[2] نجاح عبد المجيد منطقة ورقلة وتوقرت وضواحيهما من مقاومة الإحتلال الى الإستقلال، الآمال للطباعة ، ورقلة 2003،ص 197.

-دخول الجيش الفرنسي في الأراضي الصحراوية لم يكن سهلا ، ففرضه لسيطرته وترسيخ وجوده تطلب من الادارة الفرنسية أكثر من ستين عاما.

-قدمت المقاومة الشعبية التي عرفتها الصحراء الجزائرية تضحيات كبيرة من أجل الحفاظ على أراضيها ، وكلّفت الجيش الفرنسي خسائر

مادية و بشرية فادحة بالرغم من استمالة هذا الأخير الجزائرين من أجل تطويق سكان الجزائر وضرب المقاومة فيهم وهو ما سهل من مهمة الجيش الفرنسي .

-تحمل العسكريون عبء التواجد الفرنسي في الصحراء ، وقد قاد ضباط كبار في الجيش الفرنسي معظم الحملات العسكرية نذكر من بينهم الجنرال" سيرفيار "،" ومب فن"، وغيرهم .[1]

[1] - دنيس بيلي ، معالم التاريخ ورقلة1872-1992.تر:علي ايدر ، نشرة نهائية 1995.

1 - التـــــنظــــيم الإداري و العـــسكـري في الصـــحراء الجـــزائـــريـــــة:

لقد استطاعت حركة التوسع الاستعماري الفرنسي أن تتخذ لنفسها في الجنوب قواعد و تشمل أراض واسعة في هذه الصحراء ، و هو الواقع الذي فرض على الاحتلال إيجاد صيغة إدارية مستحدثة يمكنه من خلالها تسيير هذه الرقعة

وذلك لعدة أسباب منها :

ـ النفقات المالية الكبيرة التي تمردون رقيب يحدها في حملات التوسع بالجنوب .

ـ صعوبة إتباع هذه الأراضي الواسعة بالعملات الشمالية الثلاث .[1]

ـ زوال كل خطر سياسي أوروبي بعد عقد المعاهدة بين فرنسا و بريطانيا 5أوت 1890

.

وعن الاقتراحات المقدمة من طرف المسؤولين و السياسيين و الفرنسيين ،نجد مقترح الوالي العام "جول كامبون " سنة 1892 ، و الذي يظهر أنه أراد تكريس اتفاقية فرنسا ، بريطانيا بترسيخ الإدارة الفرنسية في هذه الرقعة ، و مقترح " لجنة ميزانية بغرفة النواب " للحكومة الفرنسية بتاريخ 23 ديسمبر 1901 ، بحيث وجد هذا المقترح صدى لدى الحكومة الت قدمت بتاريخ 21مارس 1902 ، مشروعا يلي طلب لجنة الميزانية ، و في شرحها لأسباب أفادت " التقليل و الإقتصار على الحد الأدنى من نفقات احتلال أقاليم الجنوب ، التي سبب تزايدها انتقادات شديدة للإدارة ...

وقد تم التصويت على هذا القانون و صدر رسميا بتاريخ 24 ديسمبر 1902 م ليضم ست مواد توضيحية تحدد حدود الصحراء الجغرافية و الإدارة و التنظيم المالي بها، قسمت فيها الصحراء الجزائرية إلى أربع أقاليم هي الصفراء ، إقليم الواحات ، إقليم غرداية ، إقليم توقرت و يخضع كل منها إلى قائد عسكري .

[1] منصوري عمار ، السياسة الفرنسية لفصل الصحراء ، و منهجية جبهة التحرير التصدي لها ، فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية ، سلسلة الملتقيات ، المنشورة،1954 ، ص 247 .

و حول ماهية هذه الإدارة أشار الوالي العام "جول كامبون " في رأيه في الواقع من العبث وضع هذه المناطق الخالية من الأوربيين تحت إدارة المكاتب العربية بل لعله من الأسهل و الأيسر عدم السعي في إدارتها أصلا ، إذ يكفي من ذالك تعيين ضابط سام مقيم بهذه المناطق ... إنشاء مركز عسكري لحماية و مراقبة رؤساء الأهالي المعينين من قبلنا ،فرض ضريبة متواضعة على السكان . [1]

و أخيرا مصلحة للبريد الدائم و المنتظم، ذلك كل ما تحتاجه وسائل بسيطة وفعالة [2]

ان المتأمل في هذه الإدارة المستحدثة بأقاليم الصحراء يجدها تتميز بميزات هي: البساطة تسيير بأقل التكاليف، وتتميز بالفعالية وبالطبع لا يمكن تحقيق ذلك إلا في حدود إدارة عسكرية وحول هذه الإدارة الجديدة بقدر ما كرس الحكم العسكري بالصحراء فبالرغم من وجود تقسيم إداريين:

الأول يضم الدوائر والملاحق والثاني يضم البلديات المختلطة والأهلية وهو ما يعني وجود إدارتين عسكرية ومدنية إلا إن حقيقة ذلك وجود إدارة واحدة ترضخ لحكم عسكري إذ أن كلاهما تخضع لضباط الشؤون الأهلية الذين جمعوا تحت سلطتهم المختلفة المهام فإلى جانب تكليفهم بقيادة السرايا العسكرية وأعمال الشرطة ، مارس هؤلاء الضباط مهام أخرى مثل إصدار القرارات المختلفة تسيير ميزات هذه الأقاليم رئاسة اللجان البلدية ، وكان نتيجة لذلك أن تحولت الصحراء إلى ثكنة كبيرة يخضع من بداخلها إلى قوانين صارمة تصدرها مجموعة من العسكريين،ما دفع بالحركة الوطنية عقب الحرب العالمية الأولى بالمطالبة بإلغاء هذا النظام [3]

---

[1] ابن علي بوبكر الثورة التحريرية في منطقة الساورة، 1962- 1954 ، مذكرة ماجستير في تاريخ الثورة، كلية الأدب، المركز الجامعي ببشار، 2005- 2006، ص 100.

[2] ابن علي بوبكر، نفس المرجع ،ص 201.

[3] بومالي أحسن إستراتجية الثورة الجزائرية في مرحلتها الأولى 1954-1962 الجزائر،منشورات المتحف الوطني للمجاهد ،الجزائر ص391.

وبالرغم من إصدار دستور 20 سبتمبر1947م وذلك في إطار الإصلاحات السياسية والذي ألغى في مادته الخمسين نظام خاص بهذه الأقاليم إلا أن ذلك لم يتم والشيء الوحيد الذي طبق هو دمج ميزانية هذه الأقاليم الجزائرية وقد تبع التعديل الذي صدر في المادة 50 من الدستور 1947 عد مشاريع ومقترحات بغرض تنظيم الأقاليم الصحراوية نذكر منها :

مشروع إعادة تنظيم أقاليم الجنوب وإنشاء عمالة عنابه الذي قدمته الحكومة الفرنسية في ديسمبر 1947م.[1]

مشروع الحكومة الفرنسية المقدم للمجلس الجزائري الذي يهدف إلى إنشاء عمالة صحراوية تضم خمسة مقاطعات هي : عين الصفراء، الاغواط، كوطب، بشار، توقرت، ورقلة، وتخضع لإشراف الوالي العالم على الجزائر، وبالرغم من موافقة المجلس الجزائري عليه إلا أنه لم يعرف طريقه للتطبيق .[2]

2- الأهمية الاقتصادية والإستراتجية للصحراء :

إن وضع فرنسا غداة خروجها من الحرب العالمية الثانية، جعلها تدرك حقائق يبدو أنها أغلقتها لفترات طويلة بسبب الأحداث التي شهدها العالم في تلك الحقبة من التاريخ فلقد أدركت فرنسا أهمية النهوض بالمصادر الطاقوية والمعدنية في مستعمرتها الإفريقية خاصة أنها وبعد انهيار دول المحور أمام دول التحالف وجدت نفسها ترزح تحت عجز مالي كبير بالإضافة لضعف في مجال الطاقة و هو ما نتج عنه تبعية للبنوك العالمية و الشركات النفطية الكبرى .[3]

كل ذلك دفع بالحكومة الفرنسية إلى التفكير في تجديد آليات الاقتصاد الفرنسي ، هذا التحدي سيكون صعبا دون استقلالية في الميادين الطاقوية و التعدينية ثم إن عليها الاستفادة

[1] - الزبيري محمد العربي ديغول، سلسلة الملتقيات ،فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية ص40.

[2] - بومالي أحسن ،إستراتيجية الثورة الجزائرية ،المرجع السابق ص394.

[3] بن دارة محمد ، المرجع نفسه ، ص 20

من أخطائها التي وقعت فيها قبيل الحرب العالمية الثانية بعد الاهتمام بالمشاريع الكبرى التي سطرتها بغرض إنشاء صناعات إستراتيجية قاعدية في الصحراء الكبرى .

و تعتبر الثروات المعدنية من الثروات المهمة في الصحراء الجزائرية التي عولت عليها فرنسا في مشاريع الاقتصادية منذ البداية وقد تم التركيز عليها في المنطقة الغربية للصحراء (الساورة) .[1]

حيث تتوفر مجموعة كبيرة من المعادن و بكميات جد هامة و هو الأمر الذي ساهم في فتح أفاق مستقبلية لإقامة عدد من الصناعات الاستخراجية والتحويلية ومن أهم المعادن التي عرفت بوجودها في المنطقة الحديد ، الفحم ، إذ نقلت سكة الحديد بشار سنة 1954 حوالي 424,000 طن ، وفي سنة 1955 حوالي 500,000 طن من القنادسة و كسيكسو ، بالإضافة إلى معادن أخرى مثل المنغنيز في جبل قطارة و النحاس في منطقة بوكايس.[2]

و نظرا لأهمية المنطقة اقتصاديا كان من المقرر العمل على إنشاء مركبات و مصانع لإستتراف ثرواتها و تمت مباشرة الدراسات من أجل انجاز عدد من المشاريع و هي مشروع لاستغلال منجم المنغنيز بقطارة .

- مشروع لإنشاء ورشه لتجمع الأمونياك بإنتاج يصل إلى 60 طن يوميا .
- مشروع لإنتاج الاسمنت الصناعي .
- مشروع لإنتاج الأجر و القرميد بطاقة تتراوح ما بين 20 طن و 30 طن يوميا .

و بالرغم من الصبغة الاقتصادية التي أرادت السلطات الاستعمارية إبرازها في مثل هذه المشاريع المهمة في الصحراء إلا أن ذلك لا يعني عدم وجود غايات و أهداف أخرى دفينة

[1] عميراوي احميدة و الآخرون ، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية ، المرجع السابق ، ص 35 -36.

[2] - بن علي بوبكر ، المرجع السابق ، ص 91.

أملتها ظروف تلك المرحلة من التاريخ (1954-1962) خصوصا المتعلق منها بالثورة الجزائرية .[1]

حيث أن الهدف الرئيسي من هذه الصناعات هو التأكيد على حضور فرنسا بهذه الفكرة من أجل دفعه إلى التماشي مع سياستها الانفصالية الهادفة غلى اقتطاع هذه الأرض عن باقي التراب الجزائري وبجميع الوسائل .

أما منطقة الواحات فقد عرفت هي الأخرى اكتشاف ثروات كان لها أن تساهم في تركيز الاهتمام بهذه المنطقة على حساب منطقة الساورة، حيث عرفت ثروة البترول أهمية كبيرة من طرف الدول الغربية،هذه الأهمية التي يمكن اكتشافها من خلال الملامح التي أولتها هذه الدولة لمادة حيوية مثل النفط.

فعدم اتفاق فرنسا مع الشركات البترولية الأنجلو ساكسونية الكبرى البريطانية والأمريكية والذي يعود لرغبتها في تحقيق استقلالية طاقوية والى إقصائها من إقليم فزان الليبي،ثم محاولة التضييق عليها و إبعادها عن مصادر النفط بالشرق الأوسط،دفع بها إلى البحث عن مصادر نفطية جديدة.

وفي ظل هذه الأحداث أدرك مسؤولي السياسة الفرنسية الأهمية التي يجب أن تولي هذه المادة المهمة،وهو ما جعل مسألة التوفير النفطي من أولى اهتمامات الأوساط الحكومية بعد الحرب العالمية الثانية،فالسياسة النفطية المزمع إتباعها تهدف إلى توفير الاحتياجات الداخلية في أول الأمر ثم جعل الاقتصاد الفرنسي في استقلالية طاقوية ثانيا.[2]

---

[1] بن دارة محمد، المرجع السابق، ص 31.
[2] د-عميراوي احميدة والآخرون ،المرجع نفسه ص 62.

ولمعرفة الأهمية التي يحتلها البترول في السياسة الاقتصادية الفرنسية ، يمكن القول أن الاكتشافات البترولية في الصحراء الجزائرية و التي أتت بثمارها منذ 1956 عاصرت فترة زمنية حساسة بالنسبة لفرنسا و الجزائر ، فداخليا عرف الاقتصاد الفرنسي نموا مسارعا بعد الحرب العالمية الثانية و هو ما أدى إلى تزايد الطلب على النفط مقابل هشاشة في الإنتاج الداخلي الفرنسي يقدر بحوالي 1,4 مليون طن 1957 و 2,35 مليون طن 1962، ويضاف إلى ذلك ارتفاع عملية استيراد هذه المادة المهمة في السنوات 1953- 1954- 1955 .[1]

حيث مثّلت الواردات النفطية ربع الواردات الفرنسية ، فإذا تصورنا أن مجمل الواردات الفرنسية من دول الشرق الأوسط كانت بالعملة الصعبة وقفنا على مدى النزيف الداخلي للخزينة الفرنسي في مجال عملتها الصعبة أما العوامل الخارجية فهذه الاكتشافات النفطية والغازية عاصرت أزمنة السويس و العدوان الثلاثي على دول مصر في أكتوبر 1956.

والتي كان من أسباب تورط فرنسا فيه هو الدعم المصري للثورة الجزائرية منذ انطلاقاتها 1954، و الذي عرف تزايدا من خلال الدعم العسكري بالأسلحة التي يصادرها الجيش الفرنسي من حين إلى آخر حيث أثرت هذه على السوق النفطية العالمية .[2]

هذه الأزمة جعلت الدول الغربية بما فيها فرنسا تتساءل حول مستقبلها النفطي أمام هذه التطورات التي يعرفها الشرق الأوسط من جهة وأمام أهمية مادة البترول في اقتصادها الداخلي و الخارجي من جهة أخرى ، و حول هذه التطورات يقول جون ماجوال " الشيء الوحيد المؤكد هو أن المشكل المهيمن غدا هو مشكل النفط سيطرح بشكل مقلف و حاد يوما بعد يوم ، و في غياب هذا الأمن و هذه السلامة فإن أي بلد سواء كان فرنسا أو أروبا هو

---

[1] بلحاج صالح ، الثورة الجزائرية و البلدان الاشتراكية مثل الاتحاد السوفييتي و الصين الشعبية ، 1954 - 2007 ، ص 173 .

[2] ـ بوضر ساية بوغزة ، التجارب النووية الفرنسية في الصحراء الجزائرية ، و ردود فعل الدولية " فصل الصحراء في السياسة الإستعمارية الفرنسية ،سلسلة الملتقيات ـ منشورات، 1954 ، ص 279 .

عرضة للأزمات الخارجية التي يبقى أمامها عاجزا بدون أي حركة و في مثل حالة البترول فإن العواقب لا شك ستكون لا حصر لها.[1]

و عليه كان على فرنسا الاهتمام ببترول الصحراء الجزائرية بغرض تحقيق مجموعة من الأهداف يمكن أن نلخصها فيما يلي :

تحقيق اكتفاء الذاتي لاحتياجات الاقتصادية الفرنسي بشكل خاص و الاتحاد الفرنسي بشكل عام من هذه المادة ، هذا الاقتصاد الذي هو عرضة للأزمات بسبب مخلفات الحرب العالمية الثانية من جهة ، و نشاط الثورة الجزائرية و تناميها من جهة أخرى [2]، حيث كان متوقعا أنه بانتهاء تهيئة المنشآت النفطية في الصحراء ستحصل فرنسا على 11 مليون طن 1961 ، مابين 20 و 25 مليون طن 1965 و 40 مليون طن 1975 ، وهو ما ينتج عنه مساهمة البترول الصحراء في سد احتياجات فرنسا كما يلي : 33٪ سنة 1961 مابين 50 إلى 63٪ سنة 1965 و 100٪ سنة 1975 و بذلك تصبح في نهاية الستينات و بداية السبعينات دولة من الدول المصدرة للنفط عالميا . [3]

إن تحقيق فرنسا للاكتفاء في مجال النفط سينتج عنه حماية العملة الصعبة ، هذه العملة التي كانت تعتمد سابقا بغرض إ ستراد النفط فضلا عن توجيه العديد منها إلى شراء الأسلحة بغرض مواجهة المجاهدين بالجزائر ، وهو ما سبب عجزا في الميزان التجاري الفرنسي .[4]

وقد عبر العديد من الساسة الفرنسيين عل الامال المرتبطة بالبترول ، فديغول خاطب عمال النفط خلال زيارته للصحراء قائلا : " إنها الفرصة عظيمة قد متموها إلى بلادنا ... و التي من شأنها أن تغير جذريا من مستقبلنا " ، أما جاك سوستال فقد صرح قائلا يوم

[1] أبو لسين بسمة خليفة ، الليبيون و الثورة الجزائرية ، 1954 - 2008 ،ص 133 ، 137 .

[2] ـ بن دارة محمد ، المرجع السابق ، ص 38 .

[3] ـ أبو لسين بسمة خليفة ، المرجع السابق ، ص 152.

[4] بلحاج صالح، الثورة الجزائرية المرجع السابق، ص 52.

14أفريل 1959 بنادي دائرة فرنسا ما وراء البحار " يحق لفرنسا من الآن فصاعدا و هذا بفضل ثروات باطن الصحراء أن تنظر بعين واثقة مطمئنة إلى تقلبات السياسة الدولية ...

ـ دعم الموقف الفرنسي و إعطائه صورة القوة دوليا وإقليميا في مرحلة تمر فيها الجمهورية الفرنسية بمرحلة تراجع كان السبب الرئيسي فيها هو نشاط الثورة منذ 1954 ، وفشل الحكومات المتتالية من احتوائها بالجزائر ، لذلك كان إشباع الإقتصاد الفرنسي و تلبية احتياجه من مادة النفط .

ينتج عنه منح امتيازات للقرار الفرنسي و حمايته من كل ضغط سياسي أو اقتصادي خارجي ، الأمر الذي يحقق دعما لفرنسا في حربها على الجزائر . [1]

أما عن محيطها القاري في اروبا فإن فرنسا ستكون لها مكانة كبيرة و قوة أمام نظائرها في السوق الأروبية ، و ذلك ما أكده ماكس لوجان بقوله " إن بترول الصحراء يضمن لنا استقلالنا التام ، و يمّكننا من الدخول إلى السوق الأروبية المشتركة كطرق نشط يقدم مصادر الطاقة الضرورية لرفع مستوى المعيشية لدى سكان أروبا الغربية . [2]

التحرر من ارتباطاتها بالكارتل الدولي للبترول ، و الذي عددا من الشركات الأمريكية والبريطانية التي تمتد و تتوغل داخل السوق الفرنسية ، فاعتماد فرنسا على بترول الصحراء سيعرز من تحرر قرارها السياسي و الاقتصادي من الضغوط التي يمكن أن تسببها هذه الشركات الكبيرة .

مع امتداد الثورة الجزائرية و شموليتها لأراضي الجنوب ، راهنت فرنسا على الحل الاقتصادي للقضاء عليها و دعمه بالحل العسكري ، وذلك بالإعتماد على ثروات هذه المنطقة لتحسين الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية للشعب .[3]

[1] بن دارة محمد ، المرجع السابق ، ص 42.
[2]ـ الميلي محمد مبارك ، صحرائنا ، المطبعة العصرية ، تونس ـ ط ـ 1ـ 1958 ، ص 132.
[3] ـ بوضر ساية بوعز ، المرجع السابق ص 130

يعتبر مشروع قسنطينة 1959 من أهم المشاريع الفرنسية الرائد خلال هذه المرحلة ، والذي أراد من خلالها الجنرال ديغول في إطار إصلاحاته الترقيعية ذر الرماد في العيون باستغلال الثروات الصحراوية الإقتصادية لمجابهة سياسة جيش و جبهة التحرير الوطني في صحراء الجزائر و شمالها .

و في ظل هذه التطورات كان التطور العلمي قد بلغ درجات كبيرة تتماشى مع معطيات الحياة الاقتصادية و العسكرية ، فالعلم منح العالم تقدما في مختلف المستويات، فهناك تطور في مجال الاتصالات باكتشاف أجهزة ومناهج حديثة في مجال الجيوفيزياء ما يسمح بمسح الأراضي و اكتشاف الثروات الباطنية بها و هناك محركات و عربات قوية وطيران حديث وسريع، ووسائل تكييف و تبريد واستخراج للماء وهي جميعها يمكن أن تساعد الأوروبي بالعيش في الصحراء وتفنّد مقولة أن الصحراء "بلد العطش والخلاء" ثم أن هذا يمكن أن يجعل من السهل على فرنسا تحقيق طموحاتها الاستقلالية لموارد الصحراء والتي تريد أن تجعل منها –الصحراء- "أرض الغد" (أرض لمستقبلها).

وإن أضفنا إلى ذلك أهمية هذه الصحراء والثروات في توظيف اليد العاملة الفرنسية وهو أمر سيكون له الأثر الكبير على الوضع الداخلي و الخارجي الفرنسي،ويمكن أن يكسب الحكومات الفرنسية مكانة في نظر الشعب الفرنسي الذي يعاني شبابه البطالة .[1]

فهذه الأرض بثرواتها يمكن أن يكون فرصة للشباب الفرنسي ينشط من خلالها ويبرز ويعبّر عن نفسه ويحقق ذاته ويستثمر مواهبه ويستغل طاقاته،إن هذه الأراضي الشاسعة باعتبارها أرضًا وطنية في المفهوم الفرنسي يمكن أن تسمح للمهندسين و المختصين في البحث المنجمي والزراعة والري أن يبرهنوا و يطبقوا علومهم .

ولأهمية الصحراء في المنظور الفرنسي قراءة ثانية امتزج فيها ما هو سياسي واقتصادي فلقد أدت الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي والغربي وتنامي نزعات التحرر والاستقلال

[1] عميراوي احميدة والآخرون ،السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية ،المرجع السابق ص55-56.

[2] -بوضرساية بوعزة "التجارب النووية الفرنسية في الصحراء الجزائرية "، المرجع السابق ص190

بين شعوب افريقيا إلى تزايد أهمية الصحراء ودورها ويمكن أن نحصره في هدفين أساسين هما:

-استغلال الموارد الاقتصادية والاعتماد على هذه المناطق واتخاذها منطلقا لمشروع وذلك بما عبر عنه بـ"الأوروأفريك".[1]

-استغلال الصحراء من اجل صد الشيوعي والعربي الذي يعمل على التوسع في عمق القارة الإفريقية .ففرنسا بتطورها في حرب 1956(العدوان الثلاثي على مصر)وانسحاب كل من بريطانيا وإسرائيل تحت الضغط الروسي.خسرت امتيازها في قناة السويس،إن هذه العزائم المتتالية في الفيتنام (ديان بيان في 1954) ومصر جعلها تركز على صحراء الجزائر بهدف التضييق.

من نفوذ المعسكر الشرقي الذي يجتهد في نشر أفكار التحرر،ففرنسا وإن خسرت مصالحها في السويس بعد العدوان فهي لن تفرط في أراضيها الصحراوية التي تزخر بالذهب الأسود ،مهما كانت الظروف وتحت أي ضغط كان مسخر بذلك قواها السياسية والاقتصادية وحتى العسكرية إن تطلب الأمر.[2]

[1] - بن دارة محمد ، المرجع السابق ص 21

[2]- بلحاج صالح "الثورة الجزائرية و البلدان الإشتراكية" المرجع السابق ص 176.

3- الدرك الفرنسي في الصحراء :

يعتبر مثل معظم تنظيمات الجيش الموجود بغرض حماية المصالح و أمن وهو ما أكد عليه الكولونيل جورج بواسيو ، الذي أشار الى أن الزيادة في عدد الدرك شرط أساسي للحفاظ على المناطق المسيطر عليها .[1]

1-3 : أهمية الدرك و نشأته بالصحراء :

تم إنشاء مجموعات الدرك الخاص بالصحراء الجزائرية في فيفري 1958 تزامنا مع ما شاهدته هذه المنطقة من تراكمات فرضها تطور الصراع بين جبهة التحرير من جهة ، و الإدارة الاستعمارية من جهة أخرى ، وقد كان لكل من إقليمي الساورة و الواحات قيادة خاصة للدرك في كل من الاغواط و بشار ، مع انتقال عاصمة إقليم الواحات من الأغواط إلى ورقلة و الذي يمكن ربط بالاكتشافات النفطية بهذه المنطقة وفي إطار السعي لتوفير الأمن الكافي لسير النشاط المؤسسات النفطية ، ثم نقل جميع الإدارات بما فيها الدرك الفرنسي.[2]

وقد كانت هذه القيادة مستقلة عن نظريتها في الشمال ولها إدارتها الخاصة ومسؤولياتها على الإقليمين ،وتحت قيادة ضابط سام للدرك ففي الصحراء الشرقية مثلا (الواحات) كانت هناك أربع كتائب للدرك موزعة على كل من الأغواط وغرداية وورقلة وتوقرت،تضع حوالي 27مركز.

ومن أجل السهر على السير الحسن لفرق الدرك، كانت هناك هيئتان متلفتان بذلك:

الأولى:هي الشرطة القضائية التي تراقب عملهم تحت سلطة الجمهورية .

الثانية: هي الشرطة الإدارية التي تعمل تحت سلطة المحافظة الذي يتم تعيينه ويكلّف بمراقبة الأعمال الإدارية .

أما عن طبيعة العناصر المشكلة لقوات الدرك في الصحراء،فهي تضم عناصر متنوعة ولم تقتصر على العنصر الفرنسي فقط بل نجد المعمرين من الأوربيين الذين يشكلون حوالي 50٪هؤلاء الذين كان تمسّكهم بالجزائر كبيرا ولهم معرفة بالمواطنين بإضافة إلى بعض

---

[1] - براح أحمد ، الادارة الإستعمارية في الجزائر ، الجماعات المحلية نموذجا ، 1954 - 2006 ص 101

[2] درواز الهادي ، الولاية السادسة التاريخية تنظيم و وقائع ، 1954 - 1952 ، دار هومة الجزائر 2002 ، د، ط ، ص 122.

الجزائريين والأفارقة السود ، كما أن البعض من عناصر الدرك كانت لديه خبرة ومؤهلات اكتسبها من خلال مشاركته في حرب الهند الصينية.[1]

أ- مهام الدرك الفرنسي بالصحراء:

لقد كلفت عناصر الدرك الفرنسي في الصحراء الجزائرية ،وهذا مع العلم أن عناصر الجيش البري وقوات الطيران تشرف على حماية هذه الحدود ومراقبتها ، ودعمت مع ذلك بالدرك لأهمية منطقة الحدود وإيصال الدعم لعناصر الجيش التحرير في الداخل بغرض تغطية الحدود الغربية من بورساي حتى بشار بالصحراء،وضعت فرنسا 150 عنصر دركي موزعين على مسافة 572كلم ،ونفس العدد تقريبا وزّع عبر الحدود الشرقية حتى بوشبكة في الصحراء على مسافة 300كلم وعبر عدّة مراكز للمراقبة .[2]

-مراقبة الجزائريين في أماكنهم والبحث والتحري عنهم وقمع أي محاولة للسكان ضد المصالح الاستعمارية ، وذلك الدعم الوجستيكي المقدم من طرف المواطنين لعناصر الجبهة.

-حماية المراكز البترولية في حاسي مسعود وعين امناس والتي تضم خليطا من العمال العرب والأوربيين و الأفارقة ،وهو ما يستوجب توفير الدرك ،فهذه المناطق تعتبر في المفهوم الفرنسي عصب الإقتصاد وأن أي عمل تخريبي داخلي من طرف العمال أو خارجي من طرف جيش التحرير الوطني يعتبر تحدي لفرنسا ونجاحا لجبهة التحرير الوطني. [3]

[1] -درواز الهادي : الولاية السادسة التاريخية ،المرجع السابق ص124.

[2] -الحاج موسى بن عمر ،السياسة النفطية الفرنسية في الجزائر 1952-1962- جمعية التراث ،القرارة غرداية ،الجزائر .ط 1- 200،ص 232.

[3]-براج أحمد ،الإدارة الإستعمارية... المرجع السابق ص120.

ـ حماية المنشآت العسكرية الخاصة النووية منها ، ففي سنة 1961 تم بناء مركز التجارب النووية تحت الأرض في منطقة إينكر ، يعمل فيه عدد من العمال ، و كان حضور لحفظ النظام ، بالتنسيق مع مختلف تشكيلات الجيش الفرنسي ، ونفس الشيء يقال على الدرك الفرنسي ، خوفا من تسلّل عناصر جيش التحرير A. L . N الوطني

ـ تأمين الطرق في الصحراء ، حيث كان على فرق الدرك كغيرها من التشكيلات العسكرية في الصحراء حماية الشاحنات و الآليات القادمة للصحراء للتصدي لأي هجوم من طرف جيش التحرير الوطني .

ـ التنسيق مع الجيش و عناصر المهارية و فرق اللفيف الأجنبي في المعارك والدوريات و أعمال التفتيش .[1]

[1] براج أحمد ، الادارة الاستعمارية ...، المرجع السابق ، ص 122.

4- المحتشدات و التعذيب في الصحراء الجزائرية :

إن الانتصارات التي حققها جيش التحرير الوطني في الجنوب ، التي دفعت السلطات الاستعمارية إلى انتهاج ممارسات قمعية مثل المحتشدات و التعذيب ، و هما اسلوبان طالما تمشيا مع بعضها طوال هذه الفترة 1954 - 1962 ، و يعود أول قرار ينص على ايجاد المناطق المحرمة في الجزائر إلى 12 نوفمبر 1954 .[1]

هذا القرار ينص على الاجراءات القمعية التي اعتمدت عليها الاستراتيجية العسكرية الفرنسية للقضاء على الثورة ، و كان إنشاءها في المناطق المهمة التي تتمركز فيها وحدات جيش التحرير الوطني و التي اطلقت عليها السلطات الاستعمارية اسم المناطق المتعفنة ونتيجة لذلك منعت الإقامة بها أو الإقتراب منها أو عبورها ماعدا للقوات الفرنسية ، والتواصل امتدادها ليصل إلى أزيد من 6000 كلم^2 (شبكة متليلي و المنيعة).[2]

والهدف من ذلك التحكم في الحركة و تنقل وحدات جيش التحرير الوطني و عزلها ومحاصرتها و هو ما يسهل عملية إبادتها و القضاء عليها و أصبحت هذه نطاقا جغرافيا يمنع أي نشاط الإنسان فيه سواء الإقامة أو الرعي الحيوانات و لتنقلات التجارة ، و الهدف للقصف المدفعي و الجوي المتواصل و المركزّ حتى لا يتاح لواحدات جيش التحرير الوطني للإلتجاء إليها عند الضرورة .[3]

1- المحتشدات : بعد إعلان حالة الطوارئ في 3 أفريل 1955 ، ظهرت صورة جديدة من الأساليب القمعية الفرنسية ، تّميزت بظهور مايعرف بالمحتشدات و التي أنشأت في أماكن بعيدة و نائية و كان من الصعب وصول الثوار لها . فالمحتشد هو " مستوطنة غير طبيعية

[1] حفظ الله بوبكر - الدعم المادي للثورة الجزائرية و استراتيجية جيش التحرير الوطني الحربية بين 1954 - 1956 2006 ص 239 .

[2] - بومالي احسن استراتيجية الثورة الجزائرية - المرجع السابق ، ص 177.

[3] - غربي الغالي ، استراتيجية الثورة الجزائرية الفرنسية في مواجهة الثورة الجزائرية 1954-1958 ، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر ، كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية ، قسم تاريخ و علم الأثار - جامعة وهران 2004- 2005 ، ص 242 .

تضم وطنين غير مدانين قضائيا و تحيط بها الأسلاك الشائكة و يحرسها جنود فرنسيين،[1] فهو بذلك شكل جديد من أشكال حرب الإبادة الجماعية في الجزائر و التي أبدع فيها الجيش الإستعماري، و تهدف إلى وضع ألاف السكان و دفعهم إلى الاحتشاد بقوة ،في أماكن و إن تعددت أسمائها فهي مراكز للموت البطئ ، يعيش فيها الشعب المختلف أنواع القهر والتعذيب

و تتبع عملية الاحتشاد مظاهر عنف كبير تقوم به القوات الاستعمارية من الهدم للمنازل وقتل الحيوانات السكان ، و ما يميزها أيضا عن هذه المحتشدات تنشأ بعد كل عملية عسكرية و كخطوة أولى للجيش الاستعماري في محاصرة الثورة .

أما عن الأهداف التي دفعت السلطات الاستعمارية إلى إنشاء المحتشدات هي :

ـ محاولة عزل الثورة عن شعبها ، هذا الشعب الذي يمثل لها دعمها اللوجيستيكي .

ـ الوقوف ضد أي محاولة من طرف الثورة دعائية كانت أو سياسية ، و التي يمكن لها أن تأثر في الشعب ، إذ إستطاع نشطاء جبهة التحرير تأسيس خمسة و عشرين 25 مركزا وزّعت عبر بوادي الصحراء و قصورها في منطقة توات لوحدها نهاية 1956 . [2]

ـ العمل على تأمين المناطق العسكرية الفرنسية خاصة المعزولة منها ، و تأمينها بمراكز تجّمع تضم المحتشدين و ذلك حماية لها من ضربات جيش التحرير ، فالعقيد " بيجار " عند اتخاده من " الفايجة الكحلة " قاعدة العملياته العسكرية التي دامت شهرا في منطقة العرق ، تصب قيادتة بالقرب من المحتشد في حاسي صاكة سنة 1957 .

ـ الاستفادة من المعلومات التي يمكن استخلاصها من المحتشدين ، بالاعتماد على الفرق الحركي و بإتباع مختلف أساليب التعذيب .

---

[1] ـ مرتاض عبد المالك " دليل مصطلحات الثورة التحريرية الجزائرية 1954- 1962 المطبعة الحديثة للفنون المطبعين . الجزائر ص 76.

[2] حوتية محمد الصالح ، الحياة السياسية و العسكرية بمنطقة تيميمون مع مراكز التموين ، الملتقى التاريخي الخاص بمعارك العرق الكبير ، تيميمون 21 ـ 22 ديسمبر 1997 ، مديرية المجاهدين ـ ولاية أدرار.

- إنتشار الوعي الثوري و شموليته لجميع الجزائر ، و نجاح جبهة التحرير الوطني في نشر صدى الثورة على الصعيد الدولي ، بعد إنشاء التنظيمات السياسية والعسكرية التي أعقبت مؤتمر الصومام 1956. [1]

- و قد شهدت الصحراء الجزائرية بدورها عددا كبيرا من المحتشدات ، وفي ظل غياب إحصائيات دقيقة يمكن القول أن منطقة الأغواط لوحدها كان بها ما يقارب 17 محتشد ، " بئر بوعروة " و بئر " أمية ربح " بمنطقة واد سوف و محتشد " واد الناموس " الذي أنشأ سنة 1958 و محتشد " العبادلة " الذي أقيمة سنة 1959 بأمر من العقيد سنة 1959 بأمر من العقيد " روجي " و محتشد " العبادلة "الذي أقيم سنة 1959 بأمر من العقيد " روجي " و محتشد " حاسي صاكة " بمنطقة العرق الغربي.[2]

[1]إبن حرز الله شارف ، دور منطقة الأغواط في الثورة الجزائرية ، 1954، ص

[2]- بومالي أحسن ، مراكز الموت البطيئ و صمة عار في جبين فرنسا الاستعمارية 1954 - 2003 ص - ص 35 ، 36 .

التعذيب:

بالإضافة إلي المحتشدات كانت هناك المعتقلات و السّجون التي تمت بها عمليات التعذيب ، فقد عرفت الصحراء بسجونها و معتقلاتها التي أنشأتها الجيش الفرنسي ، و ذلك بعد النشاط المجاهدين بهذه المنطقة منذ 1954 و حتى 1962 حيث نجد معتقل رقان بأدرار و معتقل عين البيضاء و معتقل البرج الأحمر في ورقلة وشهدت هذه المعتقلات و السجون و مختلف أنواع التعذيب .

فمع اندلاع الثور التحريرية تصاعدت وتيرة لجوء الجيش الفرنسي إلى استخدام التعذيب كوسيلة لإذلال الجزائريين و تحطيم معنوياتهم . فكانت بذلك سياسات التعذيب من الممارسات غير إنسانية التي حرص الساسة الفرنسيون التكتم عليها والتعتيم عليها.[1]

إن الملاحظ السياسة التعذيب يجدها " ممارسات و سلوك فعلي يمارس على الفرد ، و يقوم به جهاز من أجل الاستنطاق أو بدوافع العقاب أو الانتقام ، حيث تترتب عليه أضرار جسدية و معنوية ، تحطم من الكرامة الإنسانية " وهو الامر الذي دفع بعض الساسة إلى إدانة هذا الأسلوب و تجريمه دوليا و قانونيا و أخلاقيا اتبع الجيش الفرنسي طريقة التعذيب ، وكان انتهاجه لها بعد كل عملية يقوم بها المجاهدين ، أو مع أي محاولة منهم لتحريض السكان ضد فرنسا ، حيث كان الجيش الفرنسي يصب جام غضبه إثر أي عملية أو نشاط لعناصر الجبهة في المنطقة على المواطنين العزل ، فيتم نقلهم إلى مراكز التعذيب و الاستنطاق دون تمييز بين أفراده نساء كانوا أو رجالا ، أطفالا أو شيوخا .[2]

ففي معارك العرق الغربي سنة 1957 انتشرت أعمال التعذيب و تنوعت ، فقد تعرض المجاهد " مناد بلحسين " للربط و القلب على الرأس لمدة طويلة و الضرب كل يوم خلال عمليات الاستنطاق ، بينما تعرض مجاهد آخر يدعى " بن عيشاوي محمد " إلى التعذيب بالكهرباء حتى غشي عليه من شدة التعذيب .

[1] عميراوي أحمد ، فواصل في الفكر و التاريخ ، دار البعث الجزائر ، 2002 ، ص 105

[2] ـ ياحي محمد " سياسة التعذيب الإستعماري إبان الثورة التحريرية و تداعيتها المعاصرة معاملة إدارية السجون للترلاء الجزائريين 1954، ص 281

لقد كانت عمليات الاستنطاق التي تعتبر مقدمة لأقصى أنواع التعذيب تبدأ بطرح أسئلة مرفقة بالضرب المبرح بالكلمات و الأرجل و القضبان الحديدية والبنادق أو السياط لكامل الجسد السجين و خاصة في المناطق الحساسة مثل الوجه و العين و البطن و الأعضاء التناسلية ، و في حالة عدم توفيق ضابط الاستعلامات في استخراج معلومات واعتراف من السجين ينتقل الى مرحلة ثانية من التعذيب تبدأ بتعليق و أيدي السجين مثناة إلى وراء ظهره لمدة طويلة ، أو بأن يكون الرأس إلى الأسفل مع تعرية الجسم و تركه على هذه الحالة للبرودة و الحرارة .[1]

إنتشرت عمليات التعذيب بالصحراء ، واتخذت لها مراكز و أطرت لها وحدات عسكرية مختصة بالإعتقال و التعذيب و القتل مثل مفرزظة العمليات

، ومع انتشار العمليات الثورية و الفدائية في الصحراء كانت تزداد Dopالوقائية

مراكز التعذيب ، فمدينة بشار لوحدها كانت تضم ستة (6) مراكز للتعذيب من بينها مركز بالقاعدة العسكرية ، مورست به مختلف صور التعذيب التي تتسم بوحشيتها ، و إستعلمت فيه كل السبل من أجل الحصول على المعلومة ، حيث بمضاعفة تكون المعلومات كثيرة .[2]

[1]ـ شهادة مسجلة للمجاهد مناد بلحسين شريط وثائقي " ملحمة معركة تيميمون " التليفزيون الجزائري .

[2] شهادة مسجلة للمجاهد محمد بن عيشاوي شريط وثائقي بعنوان "ملحمة معركة تيمون" التلفزيون الجزائري 2009.

ومن طرق التعذيب بالماء، وتتم بواسطة إدخال أنبوب الماء مع رفع وتيرة ضغط الماء ثم طرحه أرضا والضغط عليه بالأرجل، ليخرج الماء من جميع منافذ جسمه أو غطس رأس السجين في حوض ماء مع الضغط على رأسه لمنعه من استنشاق الهواء.[1]

ويعتبر اللجوء إلى أسلوب التعذيب بالكهرباء من أقسى أنواع التعذيب ضراوة وفظاعة لما و التي من آلام حادة ، و آثار خطيرة على الجسم زيادة على تأثيراته المدّمرة على الجهاز العصبي للإنسان ، وقد قضى على العديد من الجزائريين المشبوه بهم نتيجة لهذا التعذيب . [2]

" بتمديد المشبه به على الطاولةla Gegéneوتتم هذه الطريقة من التعذيب و التي عرفت " مع تقييد رجلاه و يداه بأحزمة جلدية ، ثم يشرع في سكب كمية الماء عليه لتسريع عملية تعميم التيار الكهربائي عند إرساله ، ويتم توصيل التيار بواسطة سكين ناقلين للشرارة

والأنف و اللسان ...، وهناك طريقة أخرى للتعذيب بالكهرباء ، تتم بتعريض الجسم كله للتيار الكهربائي بواسطة إدخال السجين لحوض مليئ بالماء أو ربطه بسلم حديدي متصل

بحوض الماء ثم يمرّر عليه التيار الكهربائي .[3]

[1] غربي الغالي ، المرجع السابق ، ص 244 .
[2]- بن علي بوبكر ، المرجع نفسه ، ص 99.
[3]- غربي الغالي ، المرجع نفسه ، ص 245،

إن التعذيب الذي مارسه الجيش الفرنسي في حق الشعب الجزائري ، إنتشر وتوسع عبر كل منطقة بالصحراء واتبعه الجيش الفرنسي في كل مكان حتى في السجون ، و ما أسماء المساجين الذين قتلوا تحت تعذيب في تيميمون إلا مثال عن تلك الوحشية في معاملة سكان الصحراء من طرف الاستعمار الفرنسي.[1]

لقد تفننت فرنسا في عملية التعذيب و جعلت لها مدارس قادها ضباط الجيش الفرنسي و فرق مفرزة العمليات الوقائية O.D .P و استعمل في التعذيب الكي بالسيجارة و أساليب جديدة أكثر فعالية ، وتم بذل مجهودات جبارة لعب الخيال فيها دور المساعد إلى أن تم إتقان هذا الفن .[2]

[1] بن علي بوبكر ،المرجع السابق ، ص 102 .
[2] ـ ياحي محمد " سياسة التعذيب ... " المرجع السابق ص 288.

5- المراكز العسكرية النووية برقان و انكر :

في ظل الأحداث التي شهدتها الصحراء الجزائرية ، و أمام تغير و تنوع مفاهيم الحروب الحديثة بعد الحرب العالمية الحديثة بعد الحرب العالمية الثانية ، عرفت هذه المنطقة ثالثة أهم المراكز الإستراتيجية الفرنسية ، و الذي ركزّ فيه على الجانب النووي في كل من مركزي رقان و انكر .

حدود المنطقتين و فهم البعد الاستراتيجي للمشاريع :

تعود البدايات الأولى للطموح الفرنسي لامتلاك الأسلحة النووية إلى السنوات الأولى للحرب العالمية الثانية ، نتيجة للظروف التي ميزّت الساحة الدولية خلال هذه الفترة، وذلك بتسارع معظم الدول الكبرى للامتلاك السلاح النووي خصوصا في أروبا إلا أنه وباحتلال فرنسا من طرف الألمان عرقلت معظم المشاريع ولفترة طويلة .[1]

و عقب الحرب العالمية الثانية ، عملت القيادة الفرنسية على إحياء المشروع النووي و اتخذت في ذلك منحى سريع ، إذ أنه و في 03 جانفي 1946 تم إنشاء محافظة

الطاقة النووية C E A بغرض القيام بمجمل البحوث النووية الفرنسية ، و عهدت رئاستها للجنرال الفرنسي فرانسيس بيران ، بعدها و سنة واحدة قرّرت الدفاع الفرنسية بتاريخ 15/ 07/ 1947 إنشاء مركز رقان في التترروفت لإشراف على أول قنبلة نووية فرنسية .[2]

لقد كانت بداية المشاريع النووية في الصحراء الجزائرية في منطقة رقان في أقصى الجنوب الغربي للصحراء الجزائرية ، و التي تتميز بطابعها الصحراوي ، و رغم وضوح الرؤية حول إرادة فرنسا بناء مراكز للتجارب النووية ، إلا أنها لم تحدد أي مكان يمكن أن يجري فيه مستقبلا ، لكن في سنة 1957 تم اختيار منطقة حمودية التي تبعد عنى رقان

1- حفال عمار و آخرون ، استعمال الأسلحة المحرمة دوليا طيلة العهد الاستعماري الفرنسي في الجزائر " لأسلحة النووية نموذجا "، ص 29.

2- الزبيري محمد العربي ، ديغول ...و الصحراء ، فصل الصحراء في السياسة ، المرجع السابق، ص 14 .

بحوالي 65 كلم لاعتمادها كقاعدة أساسية من أجل مراقبة و إجراء التجارب النووية ، و كان أن وكلت مهام إنشاءها إلى السرية الثانية للجيش الفرنسي .

أما الموقع الثاني للتجارب النووية فهو في الجنوب الشرقي ، و بالضبط جبال الهقار في إينكر و يبدو أن اختيار هذه المنطقة يعود هو الآخر لدواعي آمنية بعد ردود الأفعال الدولية التي استهجنت التفجيرات ، التي استطاعت الحكومة المؤقتة الجزائرية التي أنشأت في 1958 استعمالها في دعايتها ضد الأعمال الهمجية للجيش الفرنسي في الصحراء ، و ذلك كله في إطار كسب ثقة دول الأعضاء في الأمم المتحدة ، تشبث فرنسا بالصحراء و حقها بإجراء التجارب بها .

و في منطقة إينكر التجارب تجري في منطقتين ، المنطقة الأولى تعرف بتاوريت تان أفيلا ، حيث حفرت العديد من الأنفاق من أجل إجراء التجارب الباطنية للأسلحة النووية ، و تبعد هذه المنطقة حوالي 150 كلم شمال مدينة تمنراست.[1]

---

[1] تواتي دحمان و آخرون ، الثورة التحريرية في أقاليم توات 1956 - 1962 ، منشورات جمعية مولاي سليمان بن علي لحماية مآثر الثورة التحريرية ، ص 107

أما المنطقة الثانية فتعرف بادرار تيكريتين ، وسميت هي الأخرى بالسم الجبل الذي فيه التجارب السطحية بالاعتماد على قذائف البلوتونيوم ، و عرفت هذه المجموعة من التجارب ب " تجارب بولين "

و عن الأبعاد التي دفعت فرنسا إلى الاعتماد على هذه المناطق في الصحراء الخالية يمكن القول :

أن المناطق التي تّم اختيارها لإجراء التجارب مناطق خالية من السكان ، إلا أن هذه الفكرة التي بنت عليها فرنسا طرحها مغالطة تماما للواقع ، فمنطقة رقان بحدودها معروفة بانتشار الواحات الزراعية و هو ما يكذب جميع الإدعاءات التي أدلى بها المندوب الفرنسي لدى الأمم المتحدة في تاريخ 5/ 11/ 1959 .

- سياسة السرية التي لطالما تميزت بها جميع المشاريع العسكرية المهمة التي توزعت مراكزها في الصحراء الجزائرية ، ابتداء من حما قير إلى واد الناموس

وحتى في رقان و إينكر فحسب شهادة المجاهد " محمد بن عيشاوي " كانت منطقة رقان تضم عددا من شركات إلى مناطق أخرى حفاظا على السرية من جهة ، وكون الشركات المنقبة عن النفط أجنبية .

- التأخر الفرنسي مقارنة بالدول الغربية الأخرى،والتي استطاعت أن تفرض تواجدها الدولي بسبب قوتها النووية ، فالولايات المتحدة الأمريكية اكتشفتها في سنوات الحرب العالمية الثانية .[1]

[1] حفار عمار و الآخرون " استعمال الأسلحة المحرمة ..." المرجع السابق ، ص . ص 58 - 59 .

وبعدها بأربع سنوات أجرى الاتحاد السوفييتي أول تجاربه النوويه في 29 أوت 1949 ، و بعده المملكة المتحدة في 03 أكتوبر 1957 .

ـ رغبة فرنسا في الدخول للنادي النووي ، فهذا السلاح الذي ظل حكرا على الدولة الأنجلوساكسونية جعلها تنظر بعين الريبة لهذا التحالف و تسعى لمنافسته من جهة كسرا احتكار هاتين الدولتين على العلاقات شرق غرب .

ـ استعمال السلاح النووي كوسيلة ضغط على القادة الثورة الجزائرية فالثورة عبر جميع السبل التي اتبعتها عسكرية كانت أو سياسية في الداخل أو الخارج و منذ 1954 استطاعت أن تفرض وجودها داخل هذا الإقليم الواسع الذي يمثّل ثلاث أرباع الجزائر.[1]

ـ ظهور قيادات سياسية و عسكرية تطالب بإنتاج النووية أثناء حكم الجمهوريتين الرابعة و الخامسة ، و خصوصا الجنرال ديغول الذي أكد على " أن الدفاع على فرنسا و يجب أن يضمن ذلك بوسائل فرنسية ذاتية و مستقلة " و ذلك في رده على المقترحات الأمريكية التي دعته إلى عدم الانفراد في المجال النووي و ضمان بقاء برنامجه إذ ما تم دعمه تحت إشراف حلف شمال الأطلسي .[2]

---

[1] فكاير عبد القادر، التفجيرات الفرنسية في الجزائر و المواقف الوطنية منها ، 1954 ، 2007 م ، ص 41

[2] حفال عمار والآخرون ، استعمال الأسلحة ،المرجع السابق، ص30-31.

1- فيكتور مالواسيلفا :

روائي فرنسي ولد في 20 مايوعام 1830 بمدينة la bouille بالقرب من مدينة روان

وتوفي في 17 يوليو 1907 درس القانون في مدينتي روان و باريس و لكنه في النهاية كرس حياته للأدب حيث أصبح الأدب شغله الشاغل ، عمل ناقدا للدراما في صحيفة lioyd francais أما كتابه الأول الذي ي عشر فام 1859 فكان "العشاق " ووصل إجمالي التي ألفها "مارلوت " إلى ما يزيد عن 73 كتابا ،مبرز في إيطالية و أستاذ في عدة جامعات ، نشر تحت اسم مستعار أعمال تهتم بتاريخ العلوم و الأفكار ، العلاقة بين الأدب و التاريخ ، بناء الهوية الوطنية ... ألف عدة دراسات ، دواوين شعرية ، نصوص ترجمات و روايات و منها ميتات و مآخذ (عرين الدبابة 2005) و هو مهتم بالمسرح و الموسيقى و الالتزام بعالم أقل عنفا ، أقل غباء و أقل شرا ، أما رواية رقان حبيبتي هي روايته الرابعة .[1]

1 منصة البيانات المفتوحة من المكتبة الوطنية الفرنسية 10 . http :ll data . b nf . fr l ark : 12148l cb 1191 1015_10_ 10 رخصة حرة .

1- سعيد بوطاجين مترجم رواية رقان حبيبتي :

كاتب قاص ، روائي ، ناقد ، مترجم و أكاديمي ، جزائري من مواليد تاكسانة بولاية جيجل في 6 جانفي 1958 تحصل على ليسانس من جامعة الجزائر سنة 1981 ثم على ديبلوم الدراسات المعمقة من جامعة السوربون بالفرنسا سنة 1982 بعد ذلك حصل على شهادة الماجيستر (النقد الأدبي) من جامعة الجزائر سنة 1997 و شهادة الدكتوراه المصطلح النقدي و الترجمة من نفس الجامعة سنة 2007 .

سعيد بوطاجين عضو في إتحاد الكتاب الجزائريين و عضو في إتحاد الكتاب العرب ، كما أنه عضو مؤسس لاتحاد المترجمين الجزائر الجزائريين و عضو مؤسس للملتقى الدولي عبد الحميد بن هدوقه من بين أعمال الأدبية [عدل] مجموعة قصصية ، وفاة الرجل الميت ، منشورات دار الاختلاف ... الخ ، رواية [عدل] أعوذ بالله ، دار الأمل (تيزي وزو) 2006 ... الخ أما الترجمة هناك موسوعة لكريستيان عاشور منشورات ألف جزائر و هي ترجمة بالإضافة إلى ترجمته للرواية فيكتور مالوسيلفا (رقان حبيبتي) حيث بذل جهدا كبيرا و هو يتصيد التسميات المستعصبة و ينقح العبارات ليختارها من صميم اللغة العربية و كأن النص لا علاقة له بالترجمة و إنما كتب بالعربية أصلا و ما كان له ليتفطن إلى هذا النص ويحرص على نقله إلى القارئ العربي لولا أن كانت تحدوه روح وطنية صافية .[1]

[1] وهيبة منداس ، الملتقى الوطني الثالث للكتابة السردية ، بدار الثقافة لأدرار ، نشر في صوت الأحرار ، نشر في صوت الأحرار يوم 03 - 12 - 2013

-3- الضمير يتكلم:

لن تستطيع الكلمات التعبير عن ذلك قلت: لزوجتي هل تدرين إننا قتلنا ناسا هناك بيدا انها كانت تعرف ذلك من قبل ثم نامت.

أكنت مخطئا؟ مخطئا لأني رغبت في الحكي بعد سنين مديدة؟ أظننت أن ذلك سينقذني؟ أن حمولة الصمت الثقيل ستزاح دفعة واحدة عن كاهلي، من حياتي وأن الفرج سيأتي بمجرد إلقاء كلمات على الورق؟

أجل آمنت بذلك في حين أنه لم يحصل شيء من هذا بعد ثلاثة أيام من شروعي في الكتابة، خلافا لذلك، لم أعد أنام ليلا كنت أغفو نهارا عندما تطرد الأطياف ضوء النهار لكنها تعود ليلا تضيق علي، تطالبني، ترغب كلها في أن أتذكر كل واحد منها كيف عاش، كيف كان يجب أن يعيش كيف لم يقدر على العيش إنها بعدد غفير لا حصر له لا أعرفها كلها كيف عثرت علي؟ أترجاها أن تتركني أخلد إلى النوم، أترجَاها أن تتركني أن أكتب، أحلف لها بأني لن أنساها، كيف أنساها؟ كيف استطعنا نسيانها؟ كيف استطعت أن أسكت طوال هذا الوقت.

كتيبة المغتالين تجوب غرفتي والزوجة تنام نوما عميقا، إنها ترى أن الرعب التاريخي لا يجب أن يحول دون نوم، تمنيت أن تكون محقة، كنت آمل أن تكون محقة تمنيت ذلك بقوة خلال خمسين سنة تقريبا، ليس لما نرغب فيه أي تأثير على الأطياف، الأطفال الذين رشهم شعار المعتقد القاتل، أولئك الذين كوتهم ريح فنيين الموبوءة، جلدهم مرض المتطاولين على الله، أولئك الذين دمروا في سجونهم السرية المنفردة.[1]

---

[1] فيكتور مالوسيلفا، رواية رقان حبيبتي، ترجمة سعيد بوطاجين، منشورات عدن، الجزائر2013 للترجمة العربية، ص11.

كنت هناك أجل ربما كان علي أن أتكلم من قبل، ولكن متى؟ كان الأمر متقدما دائما آو متأخرا لسرد هذا؟ ولمن؟ من يريد أن يعرف؟ لا أحد يريد أن يعلم شيئا عما يخجله، عندما نتألم كثيرا أو نؤلم كثيرا الضحية أو الجلاد، الأمر سيان فغننا ننسى، ننسى لأننا نتألم عندما نتذكر، نتألم لأننا تألمنا وآلمنا، الندامة مقشطة، فك حديدي ينهش الأحشاء ويعيد نهشها ولا حل، كنت محشورا في برميل من حديده مع الجرذان، ملحة على تأنيب الضمير، وهكذا أحجمت عن الحكي قبل البدء حتى، نسيت لسنين، تظاهرت كان شيئا لم يكن، حاولت لم أفلح في حقيقة الأمر أبدا، وجرب بلدي أيضا فعل ذلك أحسن مني.

رفض هذا البلد بلدي ومنذ سنين أن يعترف وبأنه قتل مئات التعساء في قلب العاصمة، بالإلقاء بهم في النهر الذي يشقها من جهة إلى أخرى، كنت في الخامسة والعشرين تماما، لم ينسى أكتوبر من عام 1961 تاريخ ميلادي، أما اليوم فإنني أوشك أن أتجاوزه بخمسين سنة يعترف هذا البلد، بلدي وبازدراء بعشر حالات (إختفاء) كانت في نهاية الأمر عبارة عن فجوات لا يمكن تفاديها في مداهمة للشرطة بذلك الحجم من أجل تهدئة شرذمة سارت في المظاهرة، مستخفة بمنع التجول مستخفة بقانون الجمهورية، تم الإلقاء في النهر بمئات البشر المصفدين بعد أن أوسعوهم ضربا بعد أن أرغموهم على السير ما بين صفين من رجال الشرطة الذين كانوا يجلدونهم بمتعة.[1]

[1] فيكتور مالوسيلفا، رقان حبيبتي، المرجع السابق، ص 12.

أعطاهم المحافظ أوامر كان متمرسا في هذه الأمور كان خبيرا في التمشيط الأمني وقد لمع في حملة الميدان الشتوي للدراجات، (قال لهم المحافظ هيا استمتعوا جيدا أنتم أحرار، أنا أحميكم)

أخذوا كلامه مأخذ الجد واستمتعوا جيدا على حساب أولئك الأهالي الوسخين، أما المحافظ فقد رمى على تلك الليلة حجابا سميكا لازال قائما إلى يومنا هذا، وعلينا الاهتمام بما جرى هناك، بعيدا جدا منذ أمد بعيد في قلب لاشيء قرب مدينة لا أحد يعرف اسمها، مرت أعوام ونسيت لكن ذلك كان يقض مضجعي يوقظني مذعورا، وأقول في نفسي يجب أن احكي لمن ومتى؟

لم يكن الوقت مناسبا أبدا ولم يكن هناك أحد ليستمع، وأحسب أنني لم أعثر على الكلمات لذلك كنت أنسى، أستيقظ مذعورا أرتجف، ثم أنسى، كنت أجرب ويحدث أحيانا أني أفلحت، والحال إن ذلك لم يكن صحيحا، أتذكر باستمرار لكني لا أجد الكلمات.

إننا نتوهم إن الكلمات منحت سلفا نتوهم أنه في حالة ما إذا رغبنا في قول شيء ما يكفي أن نستخرج الألفاظ من كيس المفردات للحصول على ما نحتاج إليه.

فكرة كلمة إحساس، كلمة صورة الأمر ليس كذلك، ليس كذلك بتاتا يحدث أحيانا أن نحفر أن نرغب في الحفر ولا نعثر سوى على الفراغ لم تكن هناك كلمات لأقول ما كان يجب قوله لم يكن الوقت مناسبا ولا احد يريد الاستماع وإلا لكنت اخترعت كلمات من يدري.[1]

[1] فيكتور مالوسيلفا، رقان حبيبتي، المرجع السابق، ص13.

ما أود قوله لا يشبه إطلاقا ما تستطيع قوله كلماتي، كلماتي البسيطة: تهجم ، تحارب، تغلب، تخسر، تقتل، حاولت مرارا في صمت الليالي أو في حديثي مع الزوجة أ ن أقول ما وجب قوله، عبث فعلت، لا شيء ينتظم كلا الكلمات لا تتماسك كلا أقول لزوجتي (جونوفياف هل تدرين ؟ لقد قتلنا ناسا هناك، لكنها تعرف ذلك من قبل وكانت تقول لي عد إلى نومك يا عزيزي، ثم تنام من جديد لم نقتل بشرا فحسب لم نقتل عشر مرات أو عشرين مرة أكثر من الذين ماتوا في صفوفنا لم نعذب المدنيين فحسب لم نغتصب النساء فحسب لم نقتل أثناء الحرب فحسب، بسبب الحرب وبالحرب بل كان ثمة أمر آخر أنا أعرفه جيدا لكني لا أعرفه كيف أقوله ولا لمن ولا متى.

ثم سمعت تلك الحصة في الإذاعة كان ذلك قبل أيام قليلة كان هناك مؤرخ وربما اثنان، صحافية، محارب سابق ذو رتبة عالية وسياسي أيضا وقد يكون وزيرا أو وزيرا سابقا وهل كان ذلك سيغير في الأمر شيئا.

كلهم يرددون الشيء ذاته قرابة خمسين عاما، سمعت عشرات الحصص من هذا النوع تقول بأنه بمقدورنا الآن الحديث عن كل شيء دون ممنوعات وأن الأمر يتعلق بالتاريخ القديم لم تعد هناك أسرار ومن حقنا أن نعرف كل شيء وأن هناك قضايا لا يتحدثون عنها لا يمكنهم الحديث عنها لا يتحدثون عن رقان وعما إقترفناه نحن فرنسا وأن الحصص التي تشبه هذه الحصة تفيد منع الحديث عن رقان أعرف لأني كنت هناك.[1]

[1] فيكتور مالوسيلفا، رقان حبيبتي، المرجع السابق، ص 13

قال الوزير السابق في لحظة ما إن هذا البلد بلدي طلب الاعتذار كفاية وحان الوقت للتوقف عن ذلك لا يمكن للبلد أن يتقدم إن تمادى في تأنيب الضمي عن أخطائه والحال إنها لم تكن أخطاء أصلا لقد كنا بلدا كبيرا، ولقد حققنا الأمن والحضارة وحقوق الإنسان وحقوق المرأة حيث أرسلنا جنودنا. لم يقل الجنود، قال: " ثقافتنا" أما أنا فأولتها "جنودنا" لأني كنت هناك وكنت جنديا من هذا البلد، في هذا البلد الآخر الذي هو بلدي أيضا، كانت الجزائر بمثابة فرنسا، وكان بمقدورنا أن نفعل هناك ما لا نفعله عندنا. يمكن أن نرتكب هناك كل ما هو ممنوع عندنا. لو قمنا هاهنا بما قمنا به هناك لألقوا بنا في السجن، وربما قطعوا رؤوس أفراد منا وحتى بعض رؤوس أولئك الذين عادوا بميداليات.

قال الوزير أن الوزير السابق كذلك: إننا كنا نمثل التاريخ، أو شيئا من هذا القبيل، ومن دوننا فإن أولئك الذين لا يجب الاعتذار لهم لأننا قمنا بهذا مرارا، إن هؤلاء هؤلاء الآخرين، ومن دوننا، ما كانوا ليخرجوا من جهلهم، من خيامهم البدوية من أكواخهم، من مساكنهم البدائية من مفازاتهم، من بيدائهم، من بؤسهم. لقد كنا حظهم في التاريخ. لم يقل الكلام بهذا الشكل، لكني أزعم، مع ذلك، أن الجميع سمعه: هؤلاء البشر، الآخرون، بشر كنودون . ليس لنا ألا نعتذر فحسب، بل عليهم أن يقولوا لنا شكرا. يبدو ان اللواء كان موافقا. أما الصحيفة فلا أدري، كانت تطرح على الجميع أسئلة طيبة، طيبة جدا. يبدو أن أحد المؤرخين كان موافقا الوزير واللواء، المؤرخ الآخر لم يكن موافقا تماما لكني لست متأكدا ربما كان هناك مؤرخ واحد موافقا الوزير واللواء وموافقا نفسه، وغير موافق في الوقت ذاته.[1]

[1] فيكتور مالوسيلفا، رقان حبيبتي، المرجع السابق، ص 14.

لكني كنت هناك أعرف. لم أنم طوال الليل بعد سماع الحصة في الإذاعة. لم انم لحظة واحدة وقد جلدني الهبوب الذي كنس وجوه أولئك الناس، تلك المرأة المسنة،أولئك الأطفال، أولئك الذين كانوا هناك وأولئك الذين أولئك الذين كانوا هناك وأولئك الذين سيأتون. رأيت من جديد الوجوه المرعوبة، الضوء الباهر، سحابة الدخان المتصاعد ببطء، بلا رحمة، كأنه يريد التهام السحب. أحسست من جديد بالأرض تميد تحت قدمي،

سمعت الرعد في يوم مشمس، رعد من دون عاصفة، رعد بلا سبب، زمجرة كائن عملاق كامن بين الأرض والسماء، استنشقت الغبار القاتل مجددا. كان ذلك منذ أمد بعيد، كان ذلك البارحة.[1]

[1] فيكتور مالوسيلفا، رقان حبيبتي، المرجع السابق ، ص 15

تختلط الذكريات، والأوقات تتماهى في لوحة زيتية بشعة، بقطع من أجساد متناثرة، بحيوانات مبقورة، بأسلاك كهربائية محلزنة بغرابة، بأفواه ملوية في تكشيرات، بلا رجعة، بجراح غير قابلة للعلاج، بولادات مسيخة. أنا أيضا ألقيت في هذا الرسم الجداري اللعين، واستدرت في السرير منحصرا في جهة، ما بين امرأة حبلى بكابوس وولد بلا رجلين. منحصرا ما بين هيروشيما ورقان، ما بين ناغازاكي وتان أفالا ، مابين رقان وموروروا، منحصرا في عزتي بالانتماء إلى أمة كبيرة ستتحصل بدورها على السلاح النووي قريبا ستعلو إلى «جانب القوى النووية الثلاث». كما كان يذاع في الأخبار المصورة. كنت غارقا في جهلي إلى الرقبة في تربيتي، في تزمتي الوطني الأبله. مخدوعا بالمعتقد الذي يرى أن لفرنسا مثلا الحق في تفجير قنابل نووية على حساب حياة الناس، لأنها كانت في رقعة من فرنسا هناك، لأن أولئك الناس ملك لها، وكانت حرة إذا في اصدار مرسوم يفيد عدم جدواهم، وعدم وجودهم حتى.

في بلدنا في رقان، في بلدها في الأهقار، في بلدها في موروروا. كنت مسكونا حد النخاع بهذه الفكرة السخيفة التي نفكر فيها أبدا، والتي لم يتم الحديث عنها البتة في الحصص الخاصة بحرب الجزائر، أو بأي شيء آخر، كنت معجونا في هذه الفكرة المرعبة، مؤمنا بأن خليقة يمكن أن نسميها " فرنسا " فرنسا التي تفكر وتقرر كمخلوقة كاملة العضوية تتحلى بالوعي والإرادة ، وعي وإرادة يعتز كل فرنسي أصيل بأنه مقطع صغير منهما، وبأن عليه الاعتراف فورا، بمجرد أن تفكر في أمر وتقرره، بأن ذلك هو ما كان يريده، أجل أيضا أحببت الحرب في الجزائر، أنا أيضا أحببت أن تجري فرنسا تجاربها العلمية هناك، كما كنا نسميها، حتى لا نقول " التجارب النووية " أو " التجارب الذرية" أنا ايضا كنت فرنسا.[1]

[1] فيكتور مالوسيلفا، رقان حبيبتي، المرجع السابق، ص.16

4- مضمون رواية رقان حبيبتي :

هي قنبلة أدبية من العيار الثقيل لأنها إدانة صريحة من الكاتب الفرنسي لممارسات استعمارية بحاجة إلى قراءات لا تنتهي و هي في جوهرها بحث مضن عن الحقائق التي طمستها السياسات المختلفة بتواطؤ المؤرخين و الإعلاميين و الاختصاصيين و المثقفين لذا لا يمكن أن نتوقع لها روجا في البلدان المعنية بهذه الجريمة التي لم نولها اهتمامنا رغم أنها وباء يلاحقنا و يلاحق أحفادنا و أحفاد اليربوع و الجمل و النخل و الماء ما هو موضوع أدبي يستحق عشرات الأعمال الإبداعية قبعة مرفوعة للسيد فيكتور مالوسيلفا كاتبا إنسانيا يوقظ الضمير البشري

و ينبهنا فوق هذا إلى قضايانا التي ضلت على هامش الخيارات الأدبية لوقت طويل

وهي تنقل حكاية مأساوية عن البلد برمته التعذيب و السخرية و الاستعلاء و القتل وإن كان الكاتب قد ركز أكثر على الجنوب الذي شهد كل الاجتهادات الذرية بأنواعها قبل الاستقلال و بعده إلى غاية منتصف الستينات بالعودة إلى طبيعة الاتفاقيات التي تنص على الاستقلال الجزئي للبلد ، و من ثم السماح للمستعمر بالاستمرار في إنتاج الجريمة المعلنة ، تحت الأرض و في الفضاء أمام أنضارنا

و في أنضار العالم الحر الذي لم يحرك ساكنا و هي رواية ترافق الموت و التشوهات التي لحقت بالضحايا الذين لا يدرون مصدر موتهم و تذهب مباشرة إلى الجانب المظلم من حرب الاستقلال الجزائر إلى ذلك الغموض الذي يلف قضايا المحكوم عليهم من الجنود الذين يبدون معارضتهم للحرب إلى القتل في العمليات [1]

السرية ... إلى أولئك الذين يعرفون دائما و لكنهم فضلوا أن لا يقولوا شيءا في كل مرة يكون فيها الإدلاء بالحقيقة مطلوبة .[2]

[1] وهيبة منداس، الملتقى الثالث، المرجع السابق.

[2] - وهيبة منداس الملتقى الثالث ...المرجع السابق .

5- تجاعيد الرواية :

رواية رقان حبيبتي للكاتب الفرنسي مالوسيلفا من الإثارة بحيث يجب علينا أن نحييه بكل حواسنا ووردنا لأنه كتب مؤلفا مختلفا جدا من جانب الأشكال السردية مقارنة بنصوص أخرى أو لأنه اشتغل كثيرا على بناء و تعدد الأصوات بل لأنه إضافة إلى هذا و ذاك لأنها اتخذ موقفا شبيها بموقف الفيلسوف و الأديب جون بول سارتر في كتابه "عارنا في الجزائر" و أي عار الرواية ذات منحى إنساني يدين التجارب النووية هنا و هناك لأنها من فعل الشيطان و أحفاده من رقان إلى تامنراست إلى الأهقار إلى هيروشيما و تشير نوبيل فهو يكشف قطعة من التاريخ الفرنسي المرتبط بالجزائر و يتحدث عن تلك " الديغولية " التي تعد نفسها من أعظم الأمم أراد الكاتب أن يكون منصفا فاختار التعبير من أجل إيصال فكرته إلى جميع بالنظر إلى استعصاء الشروح العلمية النووية على أذهان الكثيرين بسبب تعقيداتها و كشف مسار هذه التجارب النزعة الاستعمارية الوحشية التي لطالما ميزت المؤسسة العسكرية الفرنسية بشكل خاص قرابة 132 سنة فتجارب رقان النووية و تجارب واد الناموس الكيماوية التي خلقت و لا تزال عددا من الضحايا ماهي إلا سلسلة من جرائم فرنسا و مؤسستها العسكرية في الصحراء خصوصا و باقي الجزائر عموما بالاضافة إلى أنها عمل جنوني يلغي عن الإنسان صفاته الإنسانية رغم و جودها في الجزائر على إذلال السكان الأصليين و التراب و الرمل و الشجر و الحيوان و تلك مسألة واضحة بيد أنها اغتالت قسما كبيرا من الجنوب بالفعل الشعاعات التي لا تنتهي تأثيراتها قريبا و قد تستغرق مئات القرون ما يعني أن فرنسا الاستعمارية ستظل مصرة على الجريمة مهما بيدت بعيدة في عيونا أو في الظاهرة إلا أنها حاضرة بأثر رجعي .[1]

[1] ياحي محمد سياسة التعذيب إبان الثورة التحريرية، المرجع السابق، ص 279

ولن تغادر البلد غدا مادامت مقيمة تحت الرمل و في جهات أخرى دفن حطام التفجيرات و كل الآلات التي وجدت تقرب حمود الطائرات و الدبابات و الرافعات ووسائل الاستشعار على عمق مترين تقريبا حتى لا تنتقل العدوى إلى ما وراء البحر وعلى الرمل أن يقاوم التسريبات التي تصيب الناس و البيئة اليوم و بعد الأجيال أخرى ستولد مشوهة و مهددة بالخطر النووي القائم لأن فرنسا من وراءها جيشها بتماديها في سياسته الإجرامية في الصحراء أبرزت للعالم مدى استهانتها و استغفافها بشعوبها المستعمرة و وصلت الجرأة إلى إصدار قانون يمجد تاريخها الأسود المتناسية بذلك جرائمها البشعة التي لم تجاوزات أبرز الوجه الحقيقي لدولة نبت مجدها جثث الأوفياء من أبناء المنطقة الذين استطاعوا رفقة إخوانهم في الشمال أن ينصهروا و يجسدوا معنى وحدة التراب الجزائر شمالا و جنوبا

و يقول الكتاب تأسيسا على الأرشيف و على ذاكرة أولئك الذين كانوا شهودا و على وثائق علمية خاصة بأثار القنبلة الذرية و إشعاعاتها ما قدمه فيكتور مالوسيلفا في نصه الراقي يصرف النظر عن جوانبه الفنية و الجمالية المهمة هو بحث متقدم في تاريخ الجزائر و جغرافيتها و حربها و صحرائها المريضة بالحضارة الفرنسية.[1]

[1] ـ وهيبة منداس الملتقى الثالث...،،، المرجع السابق ،

و على مسافة مئات الكيلوميترات الموبوءة بالشيطان النووي الذي لم ننتبه بعد إلى مخلفاته الفظيعة علينا الناس و البيئة و مكوناتها من الرمل إلى أصفر كائن يؤثث الطبيعة طبيعتنا التي تخبئ الإعاقة و الموت و التشوهات التي لا حصر لها الشيء الذي لا يعرفه إلا من ألم الجنوب بعيدا عن السياحة العمياء الرواية هذه تنقل حكاية مأساوية عن البلد برمته التعذيب و السخرية و الإستعلاء و القتل إن كان الكاتب قد ركز أكثر على الجنوب الذي شهد كل الاجتهادات الذرية بأنواعها قبل الاستقلال و بعده إلى غاية منتصف الستينات .[1]

[1] ـ وهيبة منداس الملتقى الثالث...،،، المرجع السابق ،

6- جرح الذاكرة:

تفجيرات القنبلتين :

يقول فيكتور مالوسيلفا أني أريد أن أنسى كل هذا لكنه يعاودني باستمرار كثؤلولو نحرقه مئة مرة لينموا مجددا في المكان نفسه أكبر حجم و أكثر ألما و أكثر قبحا في كل مرة يعاودني الأمر كلما سمعتهم يتحدثون عن القنبلة النووية كلما وقفت على حصة في الاذاعة أو في التلفاز أو على مقال في الجريدة يلق على التقدم الذي حققناه في ميدان الأسلحة النووية منذ التجربتين السابقتين الأكبر من نوعهما و على الوثبات التي سنحققها بفضل التجارب في بولينيزيا :

أ- **الاختبار الأول :** هيروشيما 6أوت 1945 في الساعة |8و 45 دقيقة قادفة القنابل إنيولاغاي تطلق الولد الصغير من علو 9000 متر فوق المدينة الزين الجنود الأمريكيون القنبلة بالسباب في حق اليابانيين الوسخين الذين سيتلقونها على الوجوه ربما كان لهم متسع من الوقت لقراءة مراسلاتهم و بعد أقل من دقيقة من إسقاطها انفجرت قنبلة الولد الصغير على بعد 600 متر من الأرض إنه القصف الذري الأول في تاريخ 75000 ألف قتيل دفعة واحدة الثلثان مدنيون أمام الذين كانوا على بعد 500 متر من محيط المركز الانفجار أبيدوا عن آخرهم لم يبق لهم أثر لا أثر البتة استحال اللحم و الشعر و الأسنان و العظام إلى نتف متناهية الصغر كأنهم لم يوجدوا أصلا سنتقلب إلى الرماد لقد تحدث إله الحرب النووية. [1]

[1] فيكتور مالواسيلفا رقان حبيبتي ترجمة سعيد بوطاجين منشورات عدن الجزائر 2013 ص 16

ب- الاختبار الثاني :

ناغازاكي 09 أوت 1945 و بعد ثلاث أيام من القنبلة السابقة «الرجل البدين » على المدينة في الساعة 11 و دقيقتان 75000 ألف قتيل دفعة واحدة ثم عشرات الآلاف جراء التبعات المباشرة الإنفجار كان البلوتونيوم فعلا كم هو عدد القتلى إجمالا ؟ و الأطفال المشوهين و السرطان و الآثار الخبيثة التي تتخلل الحمض النووي للأجيال ؟

و كانت الحرب ستستمر إلى اليوم ولكن لماذا قنبلتين ؟ ألم تكن الأولى و الثانية من الطرازين مختلفتين كما تعلموا واحدة من الأورانيوم و الأخرى من البلوتونيوم كان من المؤسف عدم استغلال الطرف لتجريب الاثنتين الفرص لإيتاح لنا دائما لإبادة مئات الآلاف من البشر دفعة واحدة مع استحقاق بالمناسبة إعجاب العالم الحر و تصفيقاتها كان الحليف الألماني راكعا الايطالي أيضا و منذ وقت بعيد أحقا لم يكن هناك أي خيار أي حل ؟ من يصدق أمرا كهذا ؟ أو بالأحرى من يصدق بأنها لم تكن سوى نعمة بالنسبة إلى الخبراء الخطط الحربية و التقنيين العسكريين زعماء الحرب و السلم من كل جنس أولئك الذين كان لهم المجال واسعا إضافة إلى حشود من الخنازير البشرية التي كانت تحت تصرفهم أي سياق رائع لانطلاق حرب الإبادة السافلة الإبادة المرتكبة باسم الحرية بالسم الديمقراطية بالسم السلم ، أأصبح العالم في سلام منذ ذلك الوقت من يجرؤ على تناولها في كتب التاريخ في حصص التلفزيون في الإذاعة في المقالات الصحفية إنهم لا يقولون شيئا أنا أيضا لم أقل شيئا أنا أيضا تظاهرت ثم اتخذت قراري الذي كان ينتظر أن أتخذه قبل خمسين سنة و اليوم من أجل لا أحد مجانا متأخر جدا أو متقدما جدا لا يهم لقد قررت الآن أروي أن أقول كل ما أعرفه أن أتحدث عن عذاب رقان عن المضحى بهم عن أولئك الذين بصقت عليهم فرنسا و في بلدهم لعنتها الذرية لعدة أجيال .[1]

[1] فيكتور مالواسيلفا رقان حبيبتي... المرجع السابق ص 17 - 18 .

7- النتائج الوخيمة في رقان:

لا مجال للنهاية لم تختم الحكاية بعد. من 24000 جندي من جنود الفيلق الذين عينوا في " الأسلحة الخاصة"، ما بين 1960-1966 أو بشكل آخر أرسلوا إلى مواقع التجارب النووية في الجزائر، لم يتم الاعتراف رسميا سوى بقرابة عشر حالات من(المشععين) المئات من هؤلاء، الآلاف تضرروا إلى أن ماتوا، أما المحظوظون منهم فإنهم مصابون بأمراض مرعبة، ابيضاض الدم، أورام المخ، قصبة الرئة، الورم النخاعي المركب، سرطان العظام، البنكرياس، الغضروف الدرقي حويضة الكلية، البلعوم، لوزة الرضاب، تكثف العدسة...مصادفة مؤسفة حقا لكن لا شيء بالنسبة إلى الجيش والدولة الفرنسية، يسمح باتهام النظام الذي كانوا تحت سلطته في رقان، ثم في الأهقار.

ومع ذلك فإن هناك قانونا فرنسيا ينص على أن كل من تعرض لإشعاعات نووية ثم أصيب لاحقا بأي مرض مشار إليه في قائمة خاصة يعترف له بوضع المصاب مع كل الحقوق المتعلقة بذلك، لا يمكن بطبيعة الحال معرفة المصدر الحقيقي أبدا، السبب الفعلي لمرض السرطان مثلا إننا نعلم هناك عوامل مساعدة لكنها ليست سوى قضية إحصائيات ومن العوامل الأكثر خطورة من التبغ بكثير، الإنفجار بكميات كبيرة من الإشعاعات الذي يحتل الصدارة زمن هنا هذا القانون الذي يعترف بأن من يمرض بعد إصابته بإشعاع نووي لا يحتاج إلى تبرير لمصدر الداء. [1]

---

[1] فيكتور مالواسيلفا رقان حبيبتي... المرجع السابق ص 201.

خاتمة:

بعد أن تم تناول هذا الموضوع المتعلق بالصورة الصحراء إبان الاستعمار الفرنسي ، رواية رقان حبيبتي للكاتب فيكتور مالوسيلفا و اعتمادا على هذه الدراسة و التي لا زالت تحتاج إلى تعمق و تحليل كبيرين لعناصرها المختلفة تم الوقوف على .

ـ شهد الجيش الفرنسي في الصحراء الجزائرية خلال مرحلة الثورة عدة تطورات و تنظيمات كان الهدف الأساسي منها ضرب الثورة و تأكيد و تعزيز حضور فرنسا في المنطقة لنهب و استنزاف ثرواتها و زعزعة و استمالة الجزائريين بالصحراء نحو سياستها الاستعمارية

ـ أما في مجال المراكز الإستراتيجية العسكرية الفرنسية في المنطقة (الصاروخية ، النووية ـ الكيماوية) فقد شهدت هي الأخرى نجاحات كبيرة كان الفضل في تدعيم الترسانة العسكرية للجيش الفرنسي و تحقيق حلم فرنسا الصاروخي النووي و البيولوجي على حد السواء و تأهل فرنسا إلى دخول مصاف الدول الكبرى و عالميا و لو كان ذلك على حساب سكان ومواطنين عزل في منطقة جعلت منها مرتعا ل لتجاربها الجرثومية .

ـ إن ما خلقته التجارب النووية من انعكاسات خاصة النووي منها منذ بدايتها حتى نهايتها (1960 ـ 1967) و التي كانت ضحيتها أسرى الحرب المجاهدين سكان القرى و القريبة من مراكز التجارب كان له أن يتسبب في انتشار عدد كبير من الأمراض الخطيرة التي لم تعرفها المنطقة من قبل فضلا عن تلوث المساحات شاسعة من أراضي الصحراء بإشعاعات خطيرة على محيط الإيكولوجية ولتنتصك حرمة مناطق عرفت بصفاء محيطها .

ـ الرواية مأساوية في البلد برمته التعذيب ، و السخرية لإستعلاء و القتل و إن كان الكاتب قد ركز على أكثر على جنوب الذي شهد كل الاجتهادات الذرية بأنواعها قبل الاستقلال و بعده إلى غاية منتصف الستينات بالعودة إلى طبيعة الاتفاقيات التي تنص على الاستقلال الجزئي للبلد .

ـ ما حدث في الصحراء الجزائرية من منظور المؤلف شيء لا يتعذر تجاوزه أو نسيانه بالتقادم من حيث أنه موجود و ممتد إلى زمن غير معلوم لم تجري فرنسا تجارب على حدودها و في جغرافيتها الخاصة بها بل هي في أراضي الأخرين الذين لا قيمة لهم و هم يدفعون اليوم ثمن ارتقاء هذا البلد إلى مستوى القوى النموية الكبرى بتستر الشامل على مآثر مازرعه من أوبئة .

ـ ترجمة سعيد بوطاجين لرواية رقان و فتح النقاش ثري و متعدد الأبعاد حول حقائق تاريخية مرتبطة بالمرحلة الاستعمارية بالمنطقة و تأثير التفجيرات النووية المستمرة لغاية اليوم و ضرورة تجاوز مطلب التعويض المادي نحو المطالبة بالتجريم و ربطها بالضمير الإنسان و أن تتحول إلى شوكة حلقة فرنسا .

ـ رواية رقان في نظر د سعيد بوطاجين هو بحث متقدم في تاريخ الجزائر وجغرافيتها و حربها و صحرائها المريضة بالحضارة الفرنسية و لقد عملت الآلة العسكرية على إذلال السكان الأصليين و التراب و الرمل و الشجر من الجنوب وتلك المسألة واضحة بيد أنها اغتالت قسما كبيرا من الجنوب بفعل الإشعاعات التي لا تنتهي تأثيراتها قريبا و قد تستغرب مئات القرون .

قائمة المصادر و المراجع :

❖ القرآن الكريم

سورة الأنعام الآية 144

سورة الغاشية الآية 17

سورة هود الآية 64

❖ **المعاجم:**

1. إبراهيم مصطفى و الآخرون ، معجم الوسيط ، المكتبة الإسلامية ، إسطنبول ، تركيا ، ج 1 د ط ، د ت .
2. ابن منظور ، لسان العرب مج 4 دار الصادر بيروت د ـ ط ـ ت ـ مادة صور .
3. أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ، المصباح المنير ، دار المعارف ، القاهرة، ط 2 ، د ت .
4. الإمام مجد الدين : قاموس المحيط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج 4 .
5. جبران مسعود ، رائد معجم الألف بائي في اللغة و الإعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط 1 . 2003 .
6. مرتضى الزبيدي ، تاج العروس . (دراسة و تحقيق على بشرى، مج 7، دار الفكر بيروت، لبنان، ط 1 1994.

❖ **المراجع:**

7. إبراهيم أمين الزرزموني ، الصورة لفنية في على جارم ، دار قباء للطباعة و النشر والتوزيع ، مصر ، د ط . 2000 .
8. ابن نعيمة عبد المجيد و آخرون . موسوعة أعلام الجزائر ، 1830 - 1854 ، منشورات م ـ و ـ د ـ ب ـ ح ـ و ـ ث ـ أ ـ ن ـ 1954 - 2007 .
9. أحمد الشايب ، أصول النقد الأدبي النهضة المصرية القاهرة ، ط 10 ، 1994 .
10. أحمد موسى التواتي ، الصحراء في الشعر الجاهلي ، عالم الكتب الحديث ، إربد الأردن ، ط 1 ، 2009 .

11. بوشارب عبد السلام ، الهقار أمجاد و أنجاد نشر المتحف الوطني للمجاهد 1995 ، د ط .
12. بومالي أحسن ، إستراتيجية الثورة الجزائرية في مرحلتها الأولى 1954- 1962 الجزائر منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، الجزائر .
13. تواتي دحمان و آخرون ، الثورة التحريرية في أقاليم توات 1956- 1962 ، منشورات جمعية مولاي سليمان بن علي لحماية مآثر التحريرية .
14. الحاج موسى بن عمر السياسة النفطية الفرنسية في الجزائر 1952 ، 1962 ، جمعية التراث ، القرار غرداية ، الجزائر ، ط 1 ، 2000 .
15. حفال عمار و آخرون ، استعمال الأسلحة المحرمة دوليا طيلة العهد الاستعماري الفرنسي في الجزائر ، الأسلحة النووية نموذجا ،منشورات م ـ و ـ د ـ ب ـ ح ـ و ـ ث ـ أ ـ ن 1954 . د ط .
16. درواز الهادي ، الولاية السادسة التاريخية و وقائع 1954 ـ 1962 ، دار الهومة ، الجزائر ، د ط ، 2002 .
17. الزبيري محمد العربي ديغول ... و الصحراء ، فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية ، سلسلة الملتقيات ، منشورات م ـ و ـ د ـ ب ـ ح ـ و ـ ث ـ أ ـ ن ، 1954 .
18. سعد العبد الصويان الصحراء العربية ثقافتها و شعرها عبر العصور الأنتروبولوجية ،الشبكة العربية ، بيروت ، لبنان ، د ط ،2010 .
19. صلاح صلاح الرواية العربية و الصحراء منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، سورية ، ط 1، 1996.
20. عبد القادر قط ، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، دار النهضة العربية، بيروت ، د ط ، 1978.
21. عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز تح: محمود شاكر ، مطبعة مدني القاهرة ، ط 3 ،1992.

22. عطايات أبو العينين ، صلاح متعاطي ، البدو أمراء الصحراء ، مؤسسة الوراق ، عمان ، الأردن ، ط 1 ، 2014 .
23. عميراوي أحمد ، فواصل في الفكر و التاريخ ، دار البعث الجزائر ،2002 ، د ط .
24. فيكتور مالواسيلفا ، ترجمة سعيد بوطاجين ، رقان حبيبتي ، منشورات عدن ، الجزائر 2013.
25. مرتاض عبد المالك ، دليل مصطلحات الثورة التحريرية الجزائرية ، 1954 - 1962 المطبعة الحديثة للفنون المطبعين ، الجزائر .
26. ميلي محمد مبارك ، صحرائنا ، المطبعة العصرية ، تونس ط ، 1 ، 1958 .
27. الولي محمد ، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي و النقدي لمركز الثقافي العربي بيروت ، ط 1 ، 1990 .

❖ **مقالات:**

28. براح أحمد ، الادارة الاستعمارية في الجزائر و الجماعات المحلية نموذجا ، المصادر ، م - و - د - ب - ح - و - ت - أ - ن، 1954 - 2006 .
29. بلحاج صالح ، الثورة الجزائرية و البلدان الاشتراكية مثل الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية المصادر ع 15 ، م - و - د - ح - و - ت - أ - ن - 1954 -2007 .
30. بومالي أحسن ، مراكز الموت البطيئ ، وصمة عار في جبين فرنسا الاستعمارية
31. مصادر م - و - د - و - ح - و - ث - أ - ن ، 1954- 2003 .
32. منصوري عمار ، السياسة الفرنسية للفصل الصحراء ، و منهجية جبهة التحرير التصدي لها ،فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية ، سلسلة الملتقيات المنشورة م - و - د - ح - و - ث - أ - ن - 1954 .
33. مياسي ابراهيم ، الصحراء الجزائرية من خلال الاستكشافات قبل و بعد الاحتلال ، المصادر ، ع 12 م - د - ب - ح - و - ت - أ - ن ، 1954 - 2005 .
34. ميروش أحمد ، التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري و ردود فعل السكان الهقار 1916 ، المصادر ع 11 ، م - و - ب - ح - و - ت - أ - ن 1954 - 2005 .

35. ياحي محمد ، سياسة التعذيب الاستعماري إبان الثورة التحريرية و تداعيتها المعاصرة معاملة إدارية السجون للترلاء الجزائريين للمصادر 13 م ، و - د - ب - ح - و - ث - أ - ن - 1954 .

❖ **رسائل وأطروحات جامعية:**

36. حفظ الله بوبكر ، الدعم المادي للثورة الجزائرية و إستراتيجية جيش التحرير الوطني الحربية بين 1954 - 1965 ، المصادر ع ، 13 م ، و - د - ب - ح - و ، 2006 .

37. غربي لغالي ، إستراتيجية الثورة الجزائرية في مواجهة الثورة الجزائرية 1954 - 1958 ، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية ، قسم تاريخ و علم الأثار جامعة وهران 2004 - 2005 .

38. ابن علي بوبكر ، الثورة التحريرية في منطقة الساورة 1954 - 1962 مذكرة ماجستر في تاريخ الثورة كلية الأدب و العلوم الإنسانية ، مركز جامعة بشار 2005 - 2006 .

❖ **ملتقيات وشهادات مسجلة:**

39. بن عيشاوي محمد شريط وثائقي بعنوان ملحمة تيميمون التلفزيون الجزائري .

40. مناد بلحسين ، شريط وثائقي ملحمة معركة تيميمون التلفزيون الجزائري .

41. وهيبة منداس ، الملتقى الوطني الثالث لكتابة السردية ، بدار الثقافة لأدرار ، نشر في صوت الأحرار ، يوم 03 - 12 - 2013 .

❖ **موقع الكتروني:**

42. منصة البيانات المفتوحة من المكتبة الوطنية الفرنسية http :ll data . b nf . fr l 10 ark : 12148l cb 1191 . 10 _10_1015 رخصة حرة

الفهرس:

الموضوع	الصفحة
بسملة	
إهداء	
شكر وعرفان	
مقدمة	-أ-
الفصل الأول: الصحراء الذاكرة والمخيال	
1- مفهوم الصورة.	10
2- الصورة عند القدامى.	11
3- الصورة عند المحدثين.	13
4- مفهوم الصحراء:	14
أ- لغة	
ب-اصطلاحا	
5- خصائص الصحراء.	16
أ- خصائص سكان الصحراء.	
أ- 1- مفهوم البدو لغة واصطلاحا.	
أ- 2- عادات البدو وتقاليدهم.	
- كرم الضيافة.	
- الشجاعة.	
- الزواج المبكر.	
ب-الخصائص النباتية للصحراء.	19
ت-الخصائص الصحراوية للصحراء.	20
6- الوضع السكاني في الصحراء الجزائرية.	21

7- الكشوفات الجغرافية والاحتلال الفرنسي للصحراء.	26
الفصل الثاني: الاستعمار الفرنسي في الصحراء	
1- التنظيم الإداري والعسكري الفرنسي في الصحراء	28
2- الأهمية الإقتصادية والإستراتيجية للصحراء	30
3- الدرك الفرنسي للصحراء. أ- أهمية الدرك ونشأته في الصحراء ب-مهام الدرك الفرنسي بالصحراء.	39
4- المحتشدات والتعذيب في الصحراء الجزائرية. أ- المحتشدات. ب-التعذيب.	41
5- المراكز العسكرية برقان وأنكر.	51
الفصل الثالث: الجانب التطبيقي(تحليل مضمون الرواية)	
1- الكاتب فيكتور مالوسيلفا	53
2- المترجم د. سعيد بوطاجين	55
3- الضمير يتكلم.	56
4- مضمون الرواية	63
5- تجاعيد الرواية.	64
6- جرح الذاكرة. أ- تفجير القنبلتين هيروشيما وناغازاكي.	67
7- النتائج الوخيمة في رقان	68
خاتمة	70
قائمة المصادر والمراجع	73
الفهرس	76-77